عصر التنوير وتأسيس الإتجاهات النقدية في الفكر السياسي الألماني

أ.م.د.إحسان عبدالهادي سلمان النائب* م.محمد مصطفى أحمد**

الكلمات المفتاحية: التنوير، النقد، الإتجاهات النقدية، الفلسفة النقدية، الفكر السياسي الألمان
https://doi.org/10.31271/jopss.10045

ملخص البحث

يحتل مفهوم النقد والفلسفة النقدية مكانة مهمة في الفكر السياسي الغربي لا سيما بعد بروز الإتجاه العقلاني المرتبط بعصر التنوير ومبادئه في التحرر و التقدم، وأضحى روح الحضارة و الدافع الأساسي للإبداع، وتعبير فعال عن صحوة الوعي الفردي والإجتماعي كمحاولة لفهم العالم وتغيره من خلال كشف الإنسان عن مكامن القوة والضعف وتحدي كل ما يكبل حريته ويعوق تطوره وتقدمه. من حيث أن التنوير هو إتجاه ثقافي إنتشر في أوربا وجعل العقل المصدر الوحيد للمعرفة. وهكذا ناضل المنورون الألمان من أجل إنتصار العقل ودافعوا عن مشروعية النقد العلمي بدعوتهم إلى المساواة الإجتماعية للأفراد أمام العقل. وقد مر التنوير الألماني بمراحل عدة بداية مع ليبنتز وفولف ولسنغ وصولاً إلى كانط كونه مؤسس الفلسفة النقدية.

پوختەی تویژینەوە

سەردەمی ڕۆشنگەری و دامەزراندنی ئاراستە ڕەختەییەکان لەفیکری سیاسی ئەڵمانیدا

چەمکی ڕەخنە و فەلسەفەی ڕەخنەیی خاوەن پێگەی گرنگی تایبەت بەخۆیان لە هزری رامیاری خۆرئاوادا، زیاتریش لە دوای چڕبونوەی ئاڕاستە عەقڵانییەکان و پەیوەستییان بە سەردەمی ڕۆشنگەری و پرنسیپەکانی وەك ئازادیخوازی و پێشکەوتن، کە ڕۆڵی گرنگیان بینی لە پێشکەوتنی ڕۆحییەتی شارستانییەت و پاڵنەری سەرەکی بوون بۆ داهێنان، وە گوزارشتی دەکرد لە رابوونی هۆشیاری تاك و کۆمەڵگە و بۆ تێگەیشتن لە جیهان و گۆڕانکارییەکانی، لە ڕێگەی درك کردنی مرۆڤ بە خاڵی هێز و لاوازی هەموو ئەو کۆت وبەندای زەوتکەری ئازادیی و پێشکەوتن و گەشەسەندنی. ئەویش بەپێی ئەوەی ڕۆشنگەری بریتییە لە ڕەوتێکی ڕۆشنبیریی کە بە تەواوی ئەوروپادا بڵاوبوبوەوە و عەقڵی بە سەرچاوەی مەعریفەت دەناساند. هەربۆیە ڕۆشنگەرە ئەڵمانییەکان هەوڵیان دەدا لە پێناو سەرخستنی عەقڵ و بەرگری لە پرۆسەی ڕەخنەی زانستی، ئەویش بە بانگەشەکردنیان بۆ یەکسانی کۆمەڵایەتی تاکەکان لە بەرامبەر عەقڵ دا. هەربۆیە ڕۆشنگەری لە ئەڵمانیا چەندین قۆناغی تێپەڕاند، هەر لە لایبێز و ڤۆڵف و لیسنگ، هەتا دەگاتە کانت وەك دامەزرێنەری فەلسەفەی ڕەخنەیی.

* أستاذ مساعد في كلية العلوم السياسية – جامعة السليمانية Ihsan.salman@univsul.edu.iq

** مدرس وطالب دكتورا في كلية العلوم السياسية – جامعة السليمانية muhammad.ahmed@univsul.edu.iq

Abstract

The Age of Enlightenment and the establishment of critical trends in German political thought

The concept of criticism and critical philosophy takes up a significant position in Western political thought, particularly after the emergence of the rational trend connected with the Age of Enlightenment and its principles of emancipation and progress. Also, it has become the spirit of civilization, the essential stimulus of creativity, and an effective manifestation of the awakening of individual and social consciousness, aimed at realizing the world, and altering it through the uncovering of human beings potentiality of strength and weakness, and the challenge of all that shackles one's freedom and impedes one's development and progress. Given that, enlightenment is a cultural trend that has disseminated in Europe and made the mind the sole source of knowledge. Thus, the German Illuminati strove for the success of reason and defended the legitimacy of scientific criticism by calling for social equality of individuals before reasons. The German Enlightenment went through several stages, beginning with Leibniz, Wolfe Welsung, up to Kant, being the founder of critical philosophy.

المقدمة

التعريف بالموضوع: تعاني بعض المصطلحات والمفاهيم الفلسفية, من الغموض و في بعض الأوقات من تعدد الإستخدامات و تعدد المعاني وإختلافها؛ مما يجعل تلك المفاهيم أن تكون مادة للبحث والتحليل؛ وتدفعنا الى البحث عن أصلها, و تأريخها, و المفهوم الحقيقي لها. و يعد مفهوم النقد والفلسفة النقدية أحد المفاهيم التي تحظى بأهمية و إهتمام المفكرين والفلاسفة خصوصاً بعد بروز الإتجاه العقلاني وما أفرزه من إتجاهات فلسفية و فكرية. وقد ارتبط النقد بعصر التنوير ومبادئه في التحرر، والتقدم، والعقلانية، إذ برز اهمية النقد ومكانته في تطور المعرفة الانسانية؛ عليه فإن النقد أضحى روح الحضارة والدافع الأساس للابداع .

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أن النقد والنقد الذاتي يظل هو التعبير الفعال عن صحوة الوعي الفردي والاجتماعي، ويمكن إعتباره محاولة اولية جادة لفهم العالم وتغييره، ويصبح من الضروري تحقيق مهامه التي تتعدى ممارسة النقد الى تهيئة الوعي باهميته ودوره وفاعليته في إعادة الثقة والاعتبار الى الذات من جهة؛ وايقاض الامكانيات والطاقات الابداعية الكامنة للكشف عن مكامن القوة والضعف وتحفيز الانسان لرفض وتحدي كل ما يكبل حريته ويعوق تطوره وتقدمه من جهة اخرى. عليه علينا أن نقف عند بعض المفاهيم التي لا يمكن فصلها عن النقد والتفكير النقدي كـالتنوير الألماني والبدايات الأولى لظهور الإتجاه النقدي في ألمانيا، إضافة الى الإشارة الى أبرز الناقدين الأوائل في ألمانيا.

أهدف البحث: ويهدف هذا البحث إلى عرض الافكار النقدية و مناقشتها و تحليلها، الى جانب الوقوف على مفهوم النقد، ومعرفة أهم الأفكار والمصطلحات التي جاء بها حركة التنوير عامة والتنوير الألماني على وجه الخصوص. إذ إن الروح النقدية والتفكير النقدي أسهمت في إيصال المجتمعات الغربية عامةً، والألماني خاصة، الى مستوى مرتفع من التقدم العلمي، والتقني،، والاجتماعي، والسياسي، والثقافي، وهو إنجاز حضاري أثبت تفوقه على الحضارات الاخرى في عصرنا الحالي. و الثقافة النقدية العقلانية والعلمية اصبحت ضرورة لابد من السعي لتحقيقها في مجال الممارسة العلمية من أجل تطوير وعي نقدي يستطيع الوقوف امام الواقع الراهن لكشف التناقضات التي تختفي وراء الوعي المهيمن في البنى الفكرية والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

إشكالية البحث:

على ضوء ذلك يمكن الإشارة إلى إشكالية البحث في إطار بعض التساؤولات، لعل أهمها: ماهي الفلسفة والفلسفة النقدية؟ و ما التنوير والتنوير الألماني؟ وكيف أثر في دفع الإتجاه العقلي والنقدي في ألمانيا الى الأمام؟ ومن هم أبرز الفلاسفة والمفكرين الذين ساهموا في ظهوره؟

فرضية البحث:

أما فيما يتعلق بفرضية البحث فيمكن إختصارها في أن الفلسفة النقدية هي نتاج حركة التنوير، وساهم ظهور التنوير الى جانب المناقشات الدينية والمذهبية الداخلية في المانيا، في تكوين حركة فكرية نقدية امتدت تأثيرها الى عموم أوروبا والعالم.

منهجية البحث:

ومن اجل الاجابة على الاشكالية وتحقيق الفرضية ودراسة نتائجها، يمكن الإعتماد على بعض المناهج البحثية، أهمها المنهج الوصفي و المنهج البحث التحليلي الذي يقوم على عملية التفسير والنقد والإستنباط، فضلاً عن إستخدام المنهج التأريخي للوقوف على البعد التأريخي للمصطلاحات والمفاهيم و تطورها عبر المراحل التأريخية.

هيكلية البحث:

بناءً على ما تم تقسيم البحث على مبحثين رئيسيين، يتناول المبحث الأول ماهية الفلسفة النقدية وقسم على مطالبين، إذ خصص المطلب الأول لموضوع مفهوم النقد، أما المطلب الثاني تناول موضوع الفلسفة النقدية وتطورها. أما المبحث الثاني، والتي يتناول موضوع التنوير الألماني و بدايات الاتجاهات النقدية، فإنه قُسم الى ثلاثة مطالب رئيسة، إذ خصص المطلب الأول لمفهوم التنوير و عصر التنوير الأوربي، أما المطلب الثاني فيتم تخصيصه لموضوع التنوير الألماني،أما المطلب الثالث فتخصص لموضوع بدايات الإتجاهات النقدية الألمانية.

المبحث الأول/ ماهية الفلسفة النقدية

ظهرت الفلسفة عند الأغريق في القرن السادس قبل الميلاد. وقطعت شوطاً طويلاً في العصر القديم قبل أن يستولي عليها اللاهوت المسيحي في العصر الوسيط. لتصل الى مرحلة العصر الحديث والتنوير، لتسودها العلم بشكل لم يسبق له مثيل. و منذ ذلك الحين لم يتفق الفلاسفة والمفكرين على تعريف واحد وجامع للمصطلح. كما وقد انقسمت الفلسفة الأوروبية بشكل عام على نمطين رئيسيين؛ أحدهما عقلي نقدي يقوم على التحليل المنطقي، والآخر ينكر التحليل ويسعى لتحصيل النتائج العامة بالحدس المباشر الشخصي، ويتشابه هذا النمط الثاني مع الحكمة ويسمى الفلسفة التأملية (أي الإعتماد على العقل دون الرجوع الى الخبرة). ولكن بعض الفلاسفة المحدثين لا يعد الفلسفة إلا النمط الأول الذي يسمونه الفلسفة النقدية[١]. من هذا المنطلق فإن الفلسفة النقدية والفكر النقدي تحتل مكانة بارزة في الفلسفة الغربية، ولا يمكن الفصل بين الفلسفة والنقد؛ عليه و عند تحليل ماهية النقد والفلسفة النقدية تستوقفنا بعض المفاهيم التي لابد لنا أن نقف عندها ونحللها. ومن هذا المنظور يقسم المبحث إلى مطالبين، يخصص المطلب الأول لموضوع مفهوم النقد، أما المطلب الثاني فيتم فيه تناول موضوع الفلسفة النقدية وتطورها، وكالآتي.

المطلب الأول/ مفهوم النقد

النقد (Critique) قديم قدم الفكر الانساني، والحكم على التفكير القديم بالسذاجة ماهو الا نقد له، وسرعان ما تطور الفكر من مراحله البدائية، حتى ارتقى مرحلة متقدمة تمثل في مرحلة التفلسف، ومع أن الفكر النقدي هو نتاج لعصر التنوير والفلسفة العقلانية، إلا ان تأريخ المصطلح يعود الى أبعد من ذلك، عندما طرح الفيلسوف الأغريقي **طاليس المالطي Thales of Malti**(٦٢٤ق. م- ٥٤٦ ق.م) سـؤاله عن المبدأ الأول للأشياء[٢].

لقد ارتبط النقد بعصر التنوير ومبادئه في التحرر، والتقدم، والعقلانية، الذي أشر بداية عصر جديد يؤكد على أهمية النقد ودوره ووظيفته في تطور المعرفة الإنسانية. والمحرك الأساس للنقد هو الشك في الحقيقة الكلية أو الجزئية، و أضحى النقد شرطاً أولياً و مبدئياً لتطور الفكر وتقدم المجتمع وإزدهار الحضارة الإنسانية؛ عليه فإن النقد أخرج العقل البشري من كهفه وأيقضه من سباته وبدد اوهامه وأذكى فيه روح التساؤل والإبتكار[٣].

فمن الناحية اللغوية فإن للنقد مصطلحان في اللغة الانكليزية: الأول هو(criticism) ويعني النقد بمعناه الشائع، أي الإستهجان والكشف عن الخطأ، كما يعني كذلك الفحص الدقيق غير المتحيز لمعنى شيء ما، ولمضمونه، ولقيمته. أما المصطلح الثاني فهو (critique)، ويطلق على النقد القائم على اسس منهجية ذات معالم واضحة[٤]. الا أن كلمة نقد جاءت لأول مرة في اللغة الإغريقية و اللاتينية وهي

---

(١) عبدالمنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفية ، مكتبة المدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٦٠٢.

(٢) د.إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢، ص ص ٢٨ - ٣١ .

(٣) المرجع نفسه، ص ص ٩ - ٢٣.

(٤) توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، دار اويا، بنغازي،٢٠٠٤،ص٢٠٥.

مشتق من اللفظة(kritikos) الإغريقية واللاتينية(criticus) والتي تعني القدرة أو مهارة الحكم[١]، الذي يعد من أهم المقدرات التي تحفظ الإنسان من الخطأ أو الخديعة؛ لا سيما فيما يخص الشخص ذاته، وهو ما أطلق عليه"النقد الذاتي". كذلك دلت كلمة "النقد" على نوع من الجدل العقلي أو النشاط المميز للعقل من أجل الوصول الى معرفة أخرى[٢].

أما من الناحية الإصطلاحية تستعمل كلمة النقد لفحص مبدأ أو ظاهرة للحكم عليه حكماً تقويمياً تقديرياً؛ ولذلك يطلق العقل النقدي على الفكر الذي لا يأخذ بأي قرار دون التساؤول أولاً عن قيمة هذا القرار، سواء من حيث المضمون أو الأصل. ويطلق النقد إما على اعتراض، وإما على استهجان يدور حول نقطة خاصة، وإما على دراسة إجمالية ترمي الى دحض و إدانة عمل ما. ونفهم من ذلك إن النقد مجرد وسيلة وليس هدفاً، وسيلة توجيهية "مع" أو"ضد" وربما بينهما، فهو أحياناً يتضمن الرفض وأحياناً أخرى يشير الى معرفة ايجابية للحدود. فهناك من يذهب الى القول بأن النقد خروج المزيف من الأصيل، وهناك من يذهب الى أن النقد هو توجيه السهام لنقاط الضعف، وهناك من يحاول استخدام النقد كبنية اساسية لبناء صرح فكري أساسه التخلص من الأفكار الزائفة والضعيفة[٣].

من هذا المنطلق يمكن تمييز الكثير من التعاريف للنقد تختلف بإختلاف المفكرين واتجاهاتهم، فكلمة (نقدي) عند **سقراط** بمعنى "التمييز بين ماهو حقيقي وماهو غير ذلك"[٤]. ويعرف **كانط** النقد "بأنه فحص حر" أي غير مقيد بأي مذهب فلسفي، وهذا الفحص ينصب على مدى تطابق معاني العقل ومدركات الحس[٥]. اذ يشير **كانط** في دراسته (**ماهو التنوير؟**) الى أن قرننا هو قرن النقد، ولا ينبغي أن يفلت من هذا النقد أي شيء، إذ يجعل من النقد محكمة أو سلطة تشريعية، فكل شيء يجب أن يخضع لمحك النقد[٦]. أما **هيغل** فقد صوره كسلب جدلي يتجاوز الموجود دائماً، و ظلت هذه الفعالية مستمرة من خلال صيغ نظرية وعلمية مختلفة[٧]. و الجدل عند **هيغل** هو مبدأ كل حركة وحياة، بل يمتد ليشمل ايضاً كل الأشياء الطبيعية والإنسانية. فقد استطاع **هيغل** أن ينقل المذهب المثالي من مرحلة الإستسلام للأمر الواقع والدفاع الى مرحلة النقد الثوري، والجدل لديه هو رفض وانكار لما هو قائم بالفعل[٨].

والنقد عند **هوركهايمر Max Horkheimer (١٨٩٥-١٩٧٣)** هو"المجهود الفكري والعلمي المتقدم لعدم تقبل الافكار المهيمنة وصيغ السلوك الجاهزة والعلاقات الإجتماعية بمقتَضى العادة ودون تفكير، إذ إن الجهد يجب أن ينصب على ربط مختلف مظاهر الحياة الإجتماعية بالأفكار العامة، كذلك أهداف

---

(١) A.Pablo Iannone, Dictionary Of World Philosophy, Routledge, London, 2001, p130.

(٢) د.إبراهيم الحيدري، المرجع سبق ذكره، ص ص٢٣-٢٤.

(٣) أبو نور حمدي أبونور حسن، يورغن هابرماس(الأخلاق والتواصل)، التنوير للنشر، بيروت، ٢٠١٢، ص٢٠.

(٤) نقلاً عن: د.إبراهيم الحيدري، المرجع سبق ذكره، ص٢٤.

(٥)نقلاً عن: مراد وهبة ، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة ،٢٠٠٧، ص٦٥٥.

(٦) أبو نور حمدي أبونور حسن، المرجع سبق ذكره، ص٢١.

(٧) توم بوتومور، المرجع سبق ذكره، ص٢٠٥.

(٨) أبو نور حمدي أبونور حسن، المرجع سبق ذكره، ص٢٣.

المرحلة وإستنباط تكوينها وتحليل اسس الأشياء، أي بإختصار معرفتها بعمق"[١]. و النقد هو جدل العقل وهو نشاط انساني متميز وأداة تحكم عقلانية تمكن الإنسان من النظر الى الأمور بحكمة، وممارسة النقد تستدعي تأهيل الفكر لممارسة النقد بحرية للذات والآخر لأن جوهر النقد هو الحرية[٢]. ويعنى ايضا النظر الى الأمور بهدف التمييز والمناقشة من أجل التقويم، عليه فهو أداة لإظهار الحقائق واضحة وجلية. وفي النقد تهذيب للأفكار وتنوير العقل[٣]، والنقد يعني فعالية نظرية واداة اجرائية في النظر والتفكير، والهدف من تأصيل النقد والوعي به هو تطور عقل نقدي يستطيع ممارسة دوره وترسيخ ثقافة التساؤول، التي هي في جوهرها نقد للوعي وللفكر وللمجتمع وفي الوقت ذاته، نقد للنقد ذاته، فالنقد هو "جدل العقل"[٤]. وهناك انواع متعددة من النقد مع تعدد العلوم ومجالات الحياة المختلفة، فالنقد هو أساس التقدم العلمي والتقني والإجتماعي والإقتصادي والسياسي، ويعد الخطوة الأولى للعقل إزاء رفض شيء بهدف تعديله أو إلغائه[٥].

بناءاً على ماسبق يمكننا القول مع إن الفكر النقدي وليد عصر التنوير، إلا أن المصطلح قديم قدم الفلسفة، وإن تقييم الفكر أو إتهام له بمثابة نقد له. كما أصبح النقد شرطاً جوهرياً لتقدم المجتمع و إزدهاره. أما كلمة النقد فإنها تعني الفحص الدقيق الغير المتحيز لمعنى شيء ما أو لفكرة ما، وهناك تعاريف عديدة قدمت لتعريف النقد تبدأ من سقراط مروراً بكانط وهيغل حتى تصل الى المفكرين المعاصرين. فضلاً عن ذلك هنا أنواع عدة من النقد تتعدد بتعدد مجالات الحياة الإنسانية.

المطلب الثاني/ الفلسفة النقدية

تشير النقدية أو الانتقادية الى مذهب يؤمن بضرورة مناقشة المعلومات كلها، ويرى بأنه ليس هناك معرفة مقبولة إلا بعد بحث وتمحيص[٦] و تشير بمعناها الواسع الى كل عقيدة ترى ان العقل يشكل المعرفة ويكونها بمقتضى اشكال أو مقولات خاصة به، ومن ثم تكون في آن ناجعة وقويمة في حدود الاختبار، وبلا قيمة خارجة. بنحو أعم: أن النقدية تقال على نزعة فلسفية تقوم على جعل نظرية المعرفة الأساس لكل مبحث فلسفي. وبهذا المعنى يُطلق العقل النقدي على الفكر الذي لا يأخذ بأي قرار دون التساؤل أولاً عن قيمة هذا القرار، سواء من حيث مضمونه "نقد داخلي" أو من حيث أصله "نقد خارجي"[٧]. فالفلسفة بوصفها تحليلاً نشاطها الرئيس هو النقد، وفي هذا الدور يقوم المفكر

---

(١)نقلاعن: رائد عبيس مطلب، بين الحداثة ومابعد الحداثة-يوغن هابرماس-دراسة في العقلانية النقدية التواصلية،بغداد، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥، ، ص ٢١.

(٢) إبراهيم الحيدري، المرجع سبق ذكره، ص ص٩-١٠.

(٣) رائد عبيس مطلب،المرجع سبق ذكره، ص٥٠.

(٤) ابراهيم الحيدري، المرجع سبق ذكره، ص٩.

(٥) رائد عبيس مطلب،المرجع سبق ذكره، ص ص٢١ - ٥٠.

(٦) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، تحرير: د.ابراهيم مدكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٨٠.

(٧)أندرية لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، المجلد

بتحليل ما يمكن تسميته بالأدوات العقلية، فيدرس طبيعة الفكر، وقوانين المنطق والإتساق، والعلاقات بين الأفكار والواقع، وطبيعة الحقيقة، ومدى صلاحية مختلف المناهج التي تستخدمها في التوصل الى "الحقيقة" أو "المعرفة"[١]. و يشير الكثير من المفكرين الى أن الفلسفة النقدية هي (**كانطية**) أو المذهب **الكانطي**[٢]، من حيث المذهب النقدي **لكانط Immanuel Kant(١٧٢٤-١٨٠٤)** يرى أن العقل ينشيء المعرفة وفقاً لصوره ومقولاته، إلا أن هذه الصور والمقولات التي تنطبق على عالم التجربة لا تنطبق على عالم الشيء بذاته[٣].

أن مهمة الفلسفة النقدية لا تقتصر على شرح "دستور العقل البشري" وتحديد معالم المعرفة الإنسانية؛ بل هي تمتد أيضاً الى تفسير التصورات الأولية التي تسود كُلاً من العلم والعمل، وبيان الترابط أو التسلسل القائم بينهما، وتكوين "نسق كلي" يتألف من مجموعها[٤]. ويستخدم مصطلح النقدية الى جانب بعض مصطلحات اخرى لتشكل مصطلح جديد للدلالة على اتجاه نقدي أو مذهب فلسفي معين، مثل، (النقدية التجربية)[٥]، و (النظرية النقدية)، و(العقلانية النقدية)[٦]. و من هذا المنطلق فإن النقد والفلسفة النقدية مرت على مدار التأريخ بتطورت وتحولات كثيرة يصعب رصدها، بدءا من ارهاصات الفكر النقدي عند اليونان مروراً بالعصر الوسيط ثم العصر الحديث وصولاً الى العصر المعاصر. اذ جاءت الإنعطافة الفكرية التي شهدها الفكر الفلسفي النقدي مع (السفسطائيين)، من خلال نقدهم الجذري للمعتقدات الدينية و الميثولوجية، فضلاً عن نقدهم للأخلاق، وتعد فلسفة **بروتوغوراس Protagoras** (٤٨١ق.م - ٤١١ق.م) والسفسطائية عامة أول نقد للأخلاق، واحتلت فلسفة **سقراط** مكانتها في الفكر الأغريقي بفضل منهجه النقدي، كما انتقد **أفلاطون** كل عمل لا يؤدي إلى السعادة، ومنه السياسة، ثم جاء **أرسطو** بنقده لمسائل مختلفة مثل(النفس، والحركة،ومبادئ الأجسام الطبيعية والمادة الأولى...الخ)[٧].

أما في العصر المسيحي الوسيط فقد ظهر التفكير المسيحي مدافعاً عن المسيحية وناقداً لكل الفرق المعادية التي تتهم المسيحية بأنها ضد العقل، لا سيما فلسفة **اوغسطين Augustine**(٣٥٤-٤٣٠)،

الاول،٢٠٠١، ص ص٢٣٧-٢٣٨.

(١) هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة فؤاد زكريا، مكتبة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٩، ص٢٦.

(٢) أندرية لالاند، المرجع سبق ذكره ، ص٢٣٧.

(٣) عبدالمنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفية، المرجع سبق ذكره، ص٦٩٢.

(٤) د. زكريا إبراهيم، كانط أو الفلسفة النقدية، مكتبة مصر،القاهرة، ١٩٦٤، ص١٨.

(٥) إتجاه مثالي ذاتي أسسه افيناريوس وماخ. يرى أن إقتصاد الفكر هو القانون الأساسي للمعرفة، لذلك ينقي فهم التجربة من مفاهيم المادة (الجوهر) والضرورة، بوصفها مدركات أولية، أو مفاهيم عقلية الحقت خطأ بالتجربة. وهي إحياء لنظريات بركلي وهيوم متخفية وراء مطلب الحياد في الفلسفة. للمزيد ينظر: لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيت، الموسوعة الفلسفية، بإشراف م.روزنتال وب.يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧، ص٥٥٠.

(٦) يعد هانز البرت ممثلا رئيسا للعقلانية النقدية. يرفض النموذج التقليدي للعقلانية في الفلسفة والعلم، وبرأيه يجب التخلي عن تصور العقلانية من حيث أنه يستند على أساس من اليقين الذي كان مقبولاً منذ قديم. للمزيد عن العقلانية النقدية ينظر: روديجر بوبنز، الفلسفة الألمانية الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافة ، بغداد، ١٩٩٧، ص١٥٢.

(٧) رائد عبيس مطلب، المرجع سبق ذكره، ص ص ٣٢-٣٦.

والقديس أنسلمAnselm of Canterbury (١٠٣٣-١١٠٩)، و توماس الأكويني Thomas Aquinas(١٢٢٥-١٢٧٤) و وليم اوكامWilliam of Ockham (١٢٨٥-١٣٤٧) والكثير من المفكرين المسيحيين وصولاً الى عصر النهضة. وجاءت نهاية العصر الوسيط بمساهمة مجموعة من العوامل الإجتماعية و الفكرية و العلمية، وأشرت بداية ظهور الطبقة الوسطى، وحركة الأصلاح الديني، و إنتشار النزعة الإنسانية، و حركة الإستكشافات العلمية والجغرافية[١]. وسمي ذلك العصر بعصر النهضة، وأخذت الطبقة الجديدة (الوسطى) تبحث عن مصلحتها تحت مفهومي "الحرية" و "والفردانية"، وظهر نمط جديد من العلاقات الإجتماعية، وأضحى الإقتصاد التجاري (الميركانتلي) يحظى بالصدارة. كل ذلك ساهم في التغيير بالمراكز الإقتصادية، وأضفى إلى التحول في المراكز الإجتماعية، وظهور قيم إجتماعية جديدة؛ ألا وهي تمجيد الإنسان-الفرد[٢]. في تلك الحقبة أكتشف الإنسان نفسه والعالم المحيط به، وأخذ الإنسان يتجه بكل ما أوتي من القوة نحو إستطلاع آفاق العالم الطبيعي بكل تفاصيله، ومكن العلماء على كشف أسرار الطبيعة بمناهج واقعية وتجربية دقيقة، وملاحظة تفاصيلها بدقة وكأنهم يكتشفون العالم المحيط بهم لأول مرة[٣].

وبالتدريج أصبحت فكرة النقد تعني (الجدل العقلي) ثم النشاط المتميز للعقل بوصفها أداة تحكيم العقلانية، و تطور مفهوم النقد ليصبح عملا من أعمال الفكر في شروط المعرفة الممكنة، أي القدرات التي تمكن الانسان من المعرفة والنظر الى الأمور بحرية؛ لإن هدف النقد هو أن لا يضع الإنسان في واقع مزيف أو يستسلم لحقيقة كاذبة، أو يتوهم أنها أبدية ولا يمكن مسها بالنقد. كما أن هدف النقد هو إيقاض الوعي البشري عن طريق القدرة على الرفض، ورفع القدرة على الإبداع، ومن هنا تأتي أهمية النقد بإعتباره عملية رفض وتحد وليس خضوعاً أو استسلاماً[٤].

وهكذا كان النقد السمة الرئيسة للعصر الحديث، إضافة الى الثورة العلمية للعصر الحديث والتي هي ثورة كونية نقدية اصلها **كبلر**(١٥٧١-١٦٣٠) و**غاليلو**(١٥٦٤-١٦٤٢) و**نيوتن**(١٦٤٣-١٧٢٧) و**بيكون** و**ديكارت** وغيرهم من الفلاسفة والعلماء، في هذه المدة المميزة بالعطاء العلمي نتلمس النقد والممارسة النقدية، لا سيما مع وجود النزعة التجربية والنزعة العقلية، وهنا بالذات بدأت قوة حركة النقد تتفاعل مع الأحداث وعلى أثرها نشأت النقدية العلمية(التجربية) والنقدية العقلية (التأملية أو النظرية)[٥].

وبذلك، فقد مرت الفلسفة الحديثة بعدة فترات، الفترة الأولى تبدأ بسيادة المذهب الطبيعي، وأتصفت بفلسفة الولاء والمواطنة الصالحة، وثم الفصل بين الدين والفلسفة وتفسير مملكة السماء تفسيراً طبيعياً. وتبدأ الفترة الثانية من **جون لوك** John Locke (١٦٣٢-١٧٠٤) حتى "نقد العقل الخالص" **لكانط**، وقد رفضت هذه الفترة اللامبالاة وعادت لدراسة العالم الباطني للروح الإنساني، لذلك

---

(١) المرجع نفسه، ص ص٣١-٤٣.

(٢) د.عبدالرضا حسين الطعان، تأريخ الفكر السياسي الحديث، دار الحكمة، بغداد،١٩٩٢، ص ص ٢١-٢٤.

(٣) فؤاد زكريا، آفاق الفلسفة، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧، ص٣٤.

(٤) د.حميد فاضل حسن، التأسيسات الفكرية للطبقة الوسطى (العراق أنموذجاً)، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ع(٥٠)، ٢٠١٥، ص ص١٥٣-١٥٤.

(٥) رائد عبيس مطلب، المرجع سبق ذكره، ص٤٣.

هذه الحقبة دارت مشكلاتها حول المعرفة وحقيقتها ومصدرها وطبيعتها، وعن معنى الحقيقة الأخلاقية والحقيقة النظرية(**لوك و ليبنتز**)، ثم تحول الإتجاه من البحث في العالم الخارجي الى البحث في عقل الإنسان، فساد المذهب الإنساني الجديد، الى جانب دراسة الباطن وتحليل العقل. فينتقد العقل نفسه، ويميز بين الأحكام المسبقة والبديهيات وينسى مسألة اليقين المطلق، ويفحص أدلة الإيمان، وعادت المركزية للعاطفة في حياة الإنسان، ثم نشر **كانط** كتابه "نقد العقل الخالص" وقال بأن الطبيعة الإنسانية هي الخالق الحقيقي لعالم الإنسان، فالحقيقة تكمن في البناء الداخلي لروح الإنسان وليس في العالم الخارجي، والعالم الحقيقي للإنسان هو الذي يصنعه الأحرار، ولا يوجد النظام الطبيعي في الخارج إلا بعد أن يعلن العقل وجوده[١].

وتبدأ الفترة الثالثة بعد **كانط** إذ بدأ يتحول الإنتباه من الفلسفة إلى أهتمامات انسانية أخرى، وأضاف النمو العلمي مشكلات جديدة، وبدأت الطبيعة تستحوذ على إهتمامات الإنسان مرة أخرى، وبدأ التعاطف مع المذهب الطبيعي، فلم يعد الإنسان البطل المتمرد، ولم يستمر وجود العقل الإنساني بوصفه المنظم والمؤسس للعالم الذي قال به **كانط**[٢]. وهكذا عُرف القرن الثامن عشر الأوروبي بقرن النقد، هذا النقد ارتبط بحركة دينية وفلسفية شاملة، و رفعت شعار محاربة اللاهوت والخرافات التي تكبل تفكير الإنسان وتقيد عقله، ونادت هذه الفلسفة بإعطاء الحرية للعقل، وبالقيام بنقد شامل لكل الأشياء والظواهر والمؤسسات والمفاهيم وبإخضاع كل هذه الموضوعات لمحك العقل، وبالتالي الخروج من ظلام الجمود والظلم والأساطير الى أنوار العقل والحرية والتقدم[٣].

وبذلك ظهرت اتجاهات فكرية ارست قواعد الفكر النقدي في اوروبا عامة و المانياً بشكل خاص، اذ يتجلى النقد عند كانط من خلال اظهاره لوضع وترسيخ المشكلة المنهجية الضرورية التي تخص وضع معيار محدد للمعرفة قبل التقدم لحل أي مشكلة أخرى. ففلسفته النقدية لا تقرر شيئاً دون أن تضعه في ميزان النقد، والنتيجة الحتمية لذلك انه اطاح بكل الإتجاهات الميتافيزيقية وأحدث قطيعة مع الإرث الميتافيزيقي[٤]، وجاءت فلسفة **كانط** رافضةً كلاً من المذهب التجريبي الأنكليزي والمذهب اليقيني **الديكارتي**، فكان إعتراضه على المذهب التجريبي قائم على القول بوجود أحكام كلية ضرورية، بينما يقوم إعتراضه على اليقين **الديكارتي** على القول بوجود تمييز بين الرياضيات والفلسفة، أو على إستحالة تطبيق المنهج الرياضي على التفكير الفلسفي. أما موضوع الفلسفة في نظر **كانط** فهو تحديد العناصر الأولية للمعرفة والعمل، أو تحديد الأسس العقلية التي تقوم عليها حياتنا النظرية والعملية، إذن فإن الفلسفة النظرية و العملية معاً، فالفلسفة النظرية هي التي تحدد الموضوع وتعين طبيعته وتبين قوانينه، بينما الفلسفة العملية هي التي "تحقق" هذا الموضوع بأن تنقله من مجال الفكر الى مجال العمل. فالفلسفة النظرية هي علم "ماهو كائن" بينما الفلسفة العملية هي علم "ما ينبغي أن

---

(١) جوزايا رويس، روح الفلسفة الحديثة، ترجمة أحمد الأنصاري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٨-٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ص٩-١٠.

(٣) محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: انموذج هابرماس، افريقيا الشرق للنشر، المغرب، ١٩٩٨، ص٢٨.

(٤) أبو نور حمدي أبونور حسن،المرجع سبق ذكره، ص ص٢٢-٢٣.

يكون". وتبعاً لذلك فإن الأولى هي علم "الطبيعة" والثانية هي علم "الحرية" والفلسفة النظرية تنقسم الى قسمين، علم المنطق: وموضوعه دراسة المعاني الكلية من حيث صورتها فقط، وعلم الميتافيزيقا: وموضوعه دراسة تلك المعاني الكلية من حيث مادتها، أي علاقتها بالأشياء. وإذن فإن المنطق هو "الحق" وموضوع الميتافيزيقا هو "الواقع" أو الوجود الحقيقي، من حيث أن هذا الوجود خاضع لقوانين عقلية أولية سابقة على التجربة. وعلى ذلك فإن الميتافيزيقيا الوحيدة التي يتقبلها **كانط** هي ذلك العلم الذي يدرس القوانين الأولية للعقل، في علاقتها بالأشياء. والعقل في نظره إنما يدرك الظواهر، لا "الأشياء في ذاتها"، فليس في إستطاعة الميتافيزيقيا أن تصل إلى الفصل في حقيقة "المطلق" أو "المعقول" أو "الشيء في ذاته". ومن هنا فإنه يقول إن العقل النظري لا يستطيع أن يتوصل إلى إثبات وجود الله، أو حرية الإنسان، أو خلود النفس، ولو أن هذه كلها مسلمات يستلزمها العقل العملي في مجال الأخلاق. وهكذا نجد أن الفلسفة عند كانط هي عبارة عن نقد قوانين العقل والإرادة نقداً أولياً[١].

أما **هيغل** فيتخذ النقد عنده طابع وشكل السلب الجدلي الذي يتجاوز الموجود بإستمرار فالعقل قد اعطى قدرة هائلة على السلب والنفي، فالفكر عنده فكر سالب أو ناف، والفكر السالب يبدأ بالتجربة التي تدرك فيها أن هذا العالم شيء غير حر وإن الانسان والطبيعة يجدان في حالة اغتراب وضياع، وينتقل **هيغل** من الفكر السالب الى سلب الواقع، أو بالأحرى إذا كان الوجود القائم يحمل صفات الإغتراب والضياع، فإن تحقيق حالة الإنتماء الى العالم لن تتم الا بتغيير هذا العالم[٢]. فإستعادت الفلسفة عنده طابها الكلي العام، وأصبحت دراسة للذات والموضوع معاً، بعد أن حصرها **كانط** في نطاق الذاتي الخالص. يرى **هيغل** أنه ليس ثمة واقع من جهة، والعقل من جهة أخرى، أي ليس ظاهرة من جهة، والشيء في ذاته من جهة أخرى، وإنما ثم "الفكر" الذي يصنع كلاً من الحقيقة والواقع. وتبعاً لذلك فقد مزج بين المنطق والميتافيزيقا، ومزج العقلي بالواقع، وجعل الفكر هو"المطلق" نفسه. وأدخل في مجال الفلسفة كلاً من الطبيعة، والقانون، والفن، والدين، ولكنه قال إن كل هذه إنما هي مجرد مظاهر لتطور تلك "الروح" التي تتجسد الطبيعة وتتجلى من خلال التأريخ، وفقاً لقوانين ضرورية كلية صارمة هي قوانين الفكر نفسه بإعتباره "مطلقاً"[٣].

وفيما يتعلق **بماركس**Karl Marx(١٨١٨-١٨٨٣) فله اسهامات عدة في النقد وأهمها "الآيديولوجية الألمانية" ويتناول فيها امرين:الأول، محاولته ربط النقد النظري بالنشاط العملي،والثاني النقد هو المضمون الجديد لمفهوم الآيديولوجية وربطه بمجتمع التفاوت الطبيعي. فالنقد الماركسي يشير الى الفحص النظري لمقولات علم معين واختبار اسسه المعرفية، وكذلك الانطلاق من نقد العالم الى ادانة الواقع الموجود والمجتمع الرأسمالي للوصول الى تأسيس علم جديد لدراسة المجتمع. فعند **ماركس** وأنصاره، فإن المهم ليس هو وضع نظرية فلسفية لتفسير الوجود، بل العمل على فهم التأريخ ومعرفة القوانين الرئيسية التي يخضع لها تطور البشرية. إذ يرى أن الأفكار التي توجه العالم تتوقف على كثير

(١) زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٦٧، ص٣٠.
(٢) أبو نور حمدي أبونور حسن،المرجع سبق ذكره، ص ص٢٢- ٢٣.
(٣) زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، المرجع سبق ذكره، ص٤٣.

من الشروط الإقتصادية، وبالتالي فإن المادة _لا الفكر_ هي التي تفسر التأريخ الذي هو تأريخ الصراع القائم بين الطبقات نتيجة لبعض العوامل الإقتصادية[١].

وجاءت مدرسة فرانكفورت في مشروعاتها النقدية بهدف إقامة نظرية إجتماعية. فالنقد الذي افرزه عصر التنوير هو اتجاه تأسيسي كوّن ارضيته الفلسفية دون اكتساب امتداده الإجتماعي، فالنقد عند **هيغل** اكتسب بنيته الجدلية، وعبر **ماركس** اكتسب بعده الجدلي الإجتماعي، ثم عند مفكري مدرسة فرانكفورت اكتسب شمولية المنظور النقدي، بواسطة اعادة تكوين الوعي النافي لواقع حال، أي محتوياً لمفهوم السلب في محور حركيته المنصبة في صراع المتناقضات، وإن لم يعني ان السلب يتخذ لديهم مفهوماً و دلالة سلبيين، بل يغدو ماهو سالب في الفكر ايجابياً في توظيفه النقيضي للواقع[٢].

وبذلك نستنتج أن الفلسفة النقدية تشير الى مذهب يؤمن بعدم قبول إية معلومات أو أفكار دون التأكد من صحتها و مناقشتها. لذلك يطلق العقل النقدي على الفكر الذي لا يأخذ بأي قرار دون التساؤل أولاً: عن قيمة هذا القرار، الى جانب ذلك هناك الكثير من المفكرين يؤمنون بأن الفلسفة النقدية هي الكانطية. ومر النقد والفلسفة النقدية بمراحل نقدية عدة حملت في كل مرحلة من المراحل خصائص وصفات ذلك العصر بدءاً من الأغريق مروراً بالعصر الوسيط لتصل الى النهضة والتنوير لتنتهي بعصرنا الحالي، مع ذلك تميز العصر الحديث عن باقي العصور لتكون النقد السمة الأساسية لهذا العصر، حتى عرف القرن الثامن عشر بقرن النقد الذي ارتبط بحركة دينية وفلسفية شاملة، لتظهر إتجاهات فكرية لتُثَبت أركان الفكر النقدي في أوروبا عامة و الألماني على وجه الخصوص.

ومن كل ماسبق، يمكننا القول، أن الفلسفة ظهرت عند اليونانيين القدماء لتقطع أشواطاً في العصور القديمة والعصر الوسيط مروراً بالعصر الحديث حتى يومنا هذا. وترك كل عصر من العصور بصمته عليها، مما جعل من الصعب تقديم تعريف واحد شامل وجامع لها. أما فيما يتعلق بالفلسفة السياسية فلها مهمتان، وهي التحليل والتركيب. فالفلسفة بوصفها تحليلاً يكون نشاطها الرئيسي هو التحليل والنقد بإستخدام الأدوات العقلية. أما الفلسفة بوصفها تركيباً، فمهمتها الرئيسة إيجاد مركب لكل المعارف ولتجربة الإنسان الكلية. وهنا ينصب الإهتمام على النتيجة، بدلاً من المناهج والأدوات المستخدمة. وكما تبدأ الفلسفة من أول إنسان سائل، فإن النقد أيضاً خطى خطوته الأولى من أول سؤال للإنسان عن ماهية الاشياء أو اصلها. وإن عدم قبول أي أفكار جاهزة دون مناقشتها و فحصها هو نقد لها. و مرت الفلسفة النقدية بحقب تأريخية وعصور بلغت قمة نضوجها و ذروتها في القرن الثامن عشر، إذ برزت إتجاهات فكرية نقدية في أوربا بشكل عام وألمانيا خاصة ساهمت في تثبيت دعائم سلطة العقل و تراجع الدين أمام العقلانية والعلم و بروز دور الطبقة الوسطى و ما صاحبتها من نظريات و مذاهب فكرية تنظر لتقوية مكانتها و دورها في المجتمع والدولة، إضافة إلى مساهمتها في ظهور إستكشافات علمية عديدة.

---

(١) المرجع نفسه، ص ص ٢٦ - ٣٢.

(٢) توم بوتومور، المرجع سبق ذكره، ص٢٠٥.

المبحث الثاني/ التنوير الألماني وبدايات الإتجاهات النقدية

أن ظهور التنوير في المانيا كان أبطء مما كان عليه في الدول الأوروبية، و بما أن النقد يرتبط بعصر التنوير فإن بدايات النقد و النظريات النقدية كانت في كل من انكلترا و فرنسا على يد **بيكون** و **ديكارت**. و مع أن لكل أمة خصوصيتها في ثقافتها التى تجسدها لغتها وحضارتها وتعطيها هويتها، فأن الاتجاه النقدي الالماني يمتاز بخصوصيته و دوره المحوري في بناء الفلسفة النقدية. من هذا المنطلق قسمنا المبحث على ثلاث مطالب، إذ خصصنا المطلب الأول لماهية التنوير، أما المطلب الثاني فيتم فيه تناول موضوع التنويرالألماني، أما المطلب الثالث فتخصص لموضوع بدايات الإتجاهات النقدية الألمانية.

المطلب الأول/ ماهية التنوير

يرى **إزايا برلين** أن هناك ثلاث مقولات تعد الأعمدة الثلاثة التي يقف عليها التراث الغربي، والتي يمكن من خلالها تعريف التنوير. المقولة الأولى: أن الأسئلة الحقيقية كافة يمكن الإجابة عليها، وإذا كان هناك سؤال لا يمكن الإجابة عليه فهو ليس بسؤال. أما المقولة الثانية: هي أن هذه الأجوبة كافة هي يمكن إكتشافها بوسائل يمكن تعلمها وتعليمها للآخرين. هذه الوسائل تمكننا من معرفة ما يتألف العالم منه، وما موقعنا منه، وما علاقتنا بالبشر والأشياء، وما القيم الحقيقية. أما المقولة الثالثة، فهي: أنه ينبغي لكافة الأجوبة أن تكون متسقة مع بعضها البعض؛ فإذا لم تكن كذلك؛ فإن النتيجة ستكون هي الفوضى[١].

إن التعديل الذي قدمه التنوير لهذا التقليد للتراث الغربي، كان من خلال التأكيد أن تلك الأجوبة لا يجري الحصول عليها بكثير من الوسائل التقليدية المعروفة. فلا يمكن الحصول على الإجابة من خلال الوحي، ولا يمكن الحصول عليها من خلال التقاليد، ولا يمكن الحصول عليها من خلال الإستبطان. هنا طريقة واحدة فقط لإكتشاف الأجوبة، وذلك بالإعمال السليم العقل عن طريق الإستنتاج أو الإستنباط[٢].

ويرى **إرنست كاسيرر**، من الأقرار بأن عصر التنوير يتميز بكونه خلق معايير خاصة به، و وضع سلماً كونياً لقيمه، مُدعياً أن صلاحيته "مطلقة ومركزية"، لا يمكن التشكيك فيها ولا مقارنتها، أو ربطها بغيرها. فكانت النتيجة ظهور مجموعة من الأحكام المسبقة المانعة من النظر الى ذلك العصر، بكيفية عميقة تسمح بالإقتراب من حركته الحقة ومقاربة قوته الحية، ما أضر به، كما يرى أن فهم بنية التنوير والوصول إلى أعماقه لا يمكن أن يتحقق بواسطة (منهج سردي)، ولا يمكن تفسير حركته الخاصة عن طريق تجميع الآراء الفردية؛ وإنما ينبغي إعتماد منهج دينامي يبرز حياته الداخلية ويناسب روح التنوير، ويكشف عن بنيته وقواه الروحية التي تتحكم في صيرورة تكوين افكاره وطرق مناقشتها[٣].

---

(١) إزايا برلين، جذور الرومانتيكية، ترجمة سعود السويدا، جداول للنشر، بيروت، ٢٠١٢، ص٥٩-٦٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ص ٦١-٦٢.

(٣) إرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، ترجمة إبراهيم أبو حشهش، المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسات، قطر، ٢٠١٨، ص ص٢٦-٣٠.

ان مصطلح التنوير الألماني Aufkläerüng في القاموس (الألماني- العربي) وهو قاموس (غوس شراجله Gotz Schregle)، يحدد لها ثلاث مقابلات: إستنارة، إطلاع، تفهيم. و وفق السياق الإصطلاحي التأريخي يقابلها في القاموس المذكور بتعبيرين: تنوير العقول وتنوير الأفكار. وبالإشارة الى دلالتهما تأريخياً يتجلى انحصار الحقبة التأريخية ثقافياً بعصر التنوير كمدلول محدد للكلمة. ويعطي (كورت فيلهلمKurt Wilhelm) في مؤلفه القاموس الألماني الفرنسي، ثلاث مقابلات ايضاً للكلمة Aufkläerüng: إيضاح Eclaircissement، اعلام Information، إستعلام Renseignemeut. وتقع هذه المترادفات بمعزل عن الدلالة التأريخية الثقافية للكلمة[١].

من هنا فإن التنوير بالأنكليزي Enlightenment و بالفرنسي Eclaireissemeut وبالألماني Aufkläerüng: وهو إتجاه ثقافي ساد أوربا الغربية في القرن الثامن عشر بتأثير طبقة المثقفين المعروفين بأسم المتفلسفين وكان التنوير نتاج عصر العقل، وأفكاره تقوم على ثلاث وحدات تتعلق بالعقل والطبيعة والتقدم، وتكَون في مجموعها الفلسفة والأخلاق، وأساسهما العلم بأعتباره طريق العقل، ليس لبلوغ الحقيقة فقط، ولكن لتنظيم الحياة، ولتكون الأرض مدينة الله بعد أن يئس الأنسان من بلوغ مدينة الله في السماء. و شعار التنوير "العلم للجميع" و " القراءة للجميع"[٢].

لقد كانت روح التنوير شديدة العداء للكنيسة وللسلطة متمثلة بالدولة، وللخرافة والجهل والفقر. فقد كانوا شديدي الثقة في إمكان تخطيط المجتمع المدني تخطيطاً يقوم على العلم ويدفع الى التقدم، واحتدم الجدل في ذلك العصر، وكان جدلاً فكرياً عالياً، واتسمت النظرة التنويرية بالتفاؤل[٣]. و كان تنوير القرن الثامن عشر أداة بيد الطبقة الوسطى في نضالها ضد دعائم الحياة الفكرية الإقطاعية، التي وقفت عائقاً كبيراً على طريق تقدم العلم ورؤيته العلمية، و بإنتصار الطبقة الوسطى في بلدان أوروبا الغربية لقيت أفكار التنوير إنتشاراً واسعاً في أنكلترا، أولاً، ومن ثم في فرنسا، وبعدها في ألمانيا. من هنا فإن المسألة الأساسية التي شغلت بال فلاسفة التنوير، كانت مسألة العلاقة بين العلم والإيمان، بين الرؤية العلمية الجديدة، وبين النظرة الميثولوجية التي يقدمها الكتاب المقدس، من حيث أن رجال الدين يرون في توصيات الكتاب المقدس وتعاليمه تشريعات منزلة، ترسم للناس حياتهم الأخلاقية، وتنظيمهم السياسي وقوانينهم وعلاقاتهم الحقوقية. وعلى النقيض من ذلك راح مفكرو الطبقة الوسطى ينظرون الى مضمون الكتاب المقدس، والدين عموماً، "نظرة نقدية"[٤].

وبذلك تميزت حقبة عصر التنوير بالتفاؤل التقدمي داخل الطبقة الوسطى المتوسعة؛ إذ أضحت هناك ثقة متيقظة في العقل وفي الإنسان. وبمساعدة العقل صار بإمكان الإنسان أن يكشف الجوهر الداخلي للواقع ويحقق التقدم المادي، وأخذ الإنسان يستقل تدريجياً، عن الوصايا اللاهوتية. لقد تحرر الفكر، لأن الإنسان شعر أنه حاكم نفسه، ومستقل عن الوحي والتقليد. لكن سرعان ما تبين أن تحقيق

---

(١) نقلاً عن:علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر الى هابرماس(مدخل الى نظرية النقد المعاصر)، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص١١.

(٢) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفية، المرجع سبق ذكره، ص٢٢٤.

(٣) عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩، ص٤٠٥.

(٤) جماعة من أساتذة سوفيت، موجز تأريخ الفلسفة، ترجمة توفيق سلوم، الفارابي، بغداد،١٩٨٩، ص ص ١٨٠-١٨١.

التقدم المتوقع أصعب مما ظن فلاسفة عصر التنوير. صحيح أن فلاسفة عصر التنوير كانوا محقين بزعمهم أن العقل(العلم) قد يؤدي الى تقدم مادي عظيم، لكن مفهومهم للعقل كان مبهماً. فقد شمل المعرفة المنطقية والتجريبية، الحسية والفلسفية والرؤية الوصفية والمعيارية، من غير حسبان للصعوبات السياسية الموجودة في سبيل تحقيق هذا التقدم[١].

لقد كان التمهيد لعصر التنوير عندما أخذ المفكرون يستعيدون أفكار وآراء فلاسفة الأغريق ويطورنها ويضعون الأسس الأولى للفكر الفلسفي الجديد، الذي عمق الصراع بين الدولة القومية الناشئة وبين هيمنة الكنيسة، وساعد على تطوير مذاهب فكرية وفلسفية وإقتصادية جديدة؛ الأمر الذي مهد لتطوير العلوم الطبيعية. وجاءت أول ثورة في الفلسفة الحديثة في تطوير المنهج العلمي والإبتعاد عن الأسطورية والرمزية والغائية، ونتج عن ذلك التطور تياران، هما التيار العقلي والتيار التجريبي. وتلك كانت نقطة البداية للإتجاه النقدي. كما كانت هذه الحداثة الفلسفة قد مهدت الطريق لظهور كانط على المسرح الفكري وتطويره للفلسفة النقدية إذ أصبح النقد صيرورة معرفية وفعالية فكرية، ثم تحول الى منهج نقدي يربط بالنشاط المتميز للعقل ويقوم على الجدل العقلي. كما أصبح النقد محوراً للفكر الفلسفي والإجتماعي خضعت له جميع ظواهر الحياة. وتميز عصر التنوير بتدفق تيارات فلسفية وأفكار إجتماعية نقدية وحركات سياسية انبثقت عن التحولات البنيوية التي صاحبت الثورة الصناعية في اوربا والتبدلات التي رافقتها في المجالات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، لا سيما في انكلترا وفرنسا والمانيا[٢].

إن مفهوم التنوير كانت ولا تزال يكتنفها الغموض، إذ لا يتعلق الأمر بتيار واحد أو حركة واحدة منه؛ بل بتيارات ومراحل متنوعة ومتدرجة، ومتناقضة أحياناً، الأمر الذي يجعنا نطرح سؤالاً: **هل توجد مبادئ مشتركة بينها من شأنها أن تضمن وحدتها وتبرر وصفاً جامعا لها؟** في البداية علينا أن نشير الى أن حركة التنوير تعتمد بشكل أساسي على مقولة العقل الذي تعده أحد أهم مبادئها المشتركة، إذ أن العقل يعني النظام، ويتجلى في تطابق الوسائل الممكنة مع الأهداف الكلية. وفي العقل يتجلى نموذج عالم منظم بطريقة غائية وتخطيطية ليكون عالماً مليئاً بالسعادة[٣].

إن رجال التنوير يؤمنون جميعاً بالهدف النهائي للعقل لتحقيق مثالهم الخاص بالسعادة. والمشروع التنويري يسعى الى دنيوة التأريخ الديني التقليدي المقدس للمسيحية ولأخلاقها، وتحويله الى تأريخ مقدس في هذا العالم ومن أجله. وبذلك تطورت عملية التحويل هذه جنباً الى جنب مع النقد الجذري لكل الأفكار المضادة للعقل التي كانت تحملها العقيدة المسيحية ومؤسساتها، وهو النقد الذي مَسَ كل حقيقة الحياة التي صادفها التنوير. **ونتسائل كيف ذلك؟** بالنسبة للتنوير كانت حياة القرن الثامن عشر

---

(١) غُنار سكيربك و نلز غيلجي، تأريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة الى القرن العشرين، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظمات العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢، ص ص ٥١٦- ٥١٧.

(٢) إبراهيم الحيدري، المرجع سبق ذكره، ص ص٥٧-٥٩.

(٣) كلمة العقل آنذاك تعني قدرة الإنسان المستقلة والمرتكزة على حريته في تحديد ذاته على التفكير والإحساس والفعل، أي القدرة على السلوك بطريقة مخططة طبقاً لهدف نهائي. ينظر: نادية بو نفقة، جدلية التنوير وتطويره في ألمانيا، في مجموعة من الباحثين (سؤال الحداثة والتنوير في الفكر الغربي والعربي)،منشورات الإختلاف الجزائر، ٢٠١٣، ص٤٢.

لا تمتلك أساس عقلي واضح، بسبب تطبعها بالتقليد والموروث القديم، وإنتشار أنظمة الحياة التقليدية في المجتمع الطبيعي المقسم بطريقة هرمية. وبذلك نشأت عملية التنوير في تناقض مع الوعي الطبقي المرسخ بواسطة التقليد، مع الإشارة الى أن غالبية رواد التنوير ينحدرون من فئة المواطنين الجدد، لهذا كان من المنطقي من الناحية الإجتماعية التأريخية ألا يتقبل المجتمع الطبقي التقليدي الوعي المتنور، إلا بشرط أن تعيد السلطة الحكومية تنظيم نفسها بشكل يتفق مع الأفكار الجديدة. وهذا يعني ارتباط الشرعية الجديدة بالقدرة العقلية للإنسان، أكثر من إرتباطها بالنظام الديني المقدس. وبذلك تحدى التنوير الوعي التقليدي، وسلطة الأنظمة القديمة، وأضحى الوضع مشحون بالتوتر والصراعات القوية[١].

ويمكن تقديم عرض موجز لعناصر فلسفة عصر التنوير الأساسية: الإنسان خيّر بالطبيعة، وغايته السعادة في هذا العالم، وليس النعيم في عالم الآخر. ويمكن للإنسان وحده أن يحقق تلك الغاية بالعلم والمعرفة. وأعظم العقبات التي تعترض غايته هي الجهل والخرافة والتعصب. والتغلب على هذه العقبات نحتاج تنويراً (لاثورة). والتنوير ومن خلاله سيتقدم العالم إلى الأمام. وكذلك يمكن صياغة النقاط التالية[٢]:

١. العقل في حوزة الجميع.
٢. القانون الطبيعي يضمن حقوق الفرد(ضد الأمتيازات وضد الإستبداد).
٣. النظرية الأخلاقية للمتنورين تقضي بأن ننشد الأفضل لأنفسنا.
٤. من الناحية السوسيولوجية، هناك انسجام بين المصالح الذاتية: فصراعنا لمصلحتنا الخاصة يسهم في سعادة كل انسان.
٥. الدولة المثالية تؤمن حقوق المُلكية والحرية الفردية.

ان ممارسة العقل كانت تعني لفلاسفة التنوير اكثر من مجرد النقد الهادم في المجال الديني (الجانب السلبي للنقد)، ولا سيما الإنسان ذاته في حياته النفسية والأخلاقية و الإجتماعية. ولم تكن ممارسة العقل تعني لهم إنشاء مذاهب كبيرة مستنبطة من افكار فطرية أو مبادئ أولى. وفي هذا أداروا ظهورهم للميتافيزيقا التأملية، لكن هذا لا يعني أنهم لم يهتموا بالتركيب، وكانوا مجرد مفكري تحليل ومهتمين بالمشكلات الجزئية دون محاولة لتركيب استنتاجاتهم المتنوعة. ولكنهم كانوا مقتنعين أن المدخل الصحيح هو الذهاب الى الظواهر ذاتها لمعرفة قوانينها وعللها بطريقة الملاحظة. بعد ذلك الإمكان التوجه نحو التركيب، مكونين مبادئ كلية ومشاهدين وقائع جزئية في ضوء حقائق كلية. وبصفة عامة يمكن أن ننظر الى فلسفة التنوير على أنها محاولة لتطوير "علم الإنسان"، والسعي لفصل الأخلاق عن الميتافيزيقا[٣].

أن الطرق التي سلكها الفكر في القرن الثامن عشر متعددة ومختلفة، واجتمعت طاقات الفكر في

---

(١)نادية بو نفقة، المرجع سبق ذكره، ص٤٣.

(٢)غُنار سكيربك و نلز غيلجي، المرجع سبق ذكره، ص ص٥١٦- ٥١٨.

(٣) فريدريك كوبلستون، تأريخ الفلسفة(المجلد السادس)، الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط، ترجمة حبيب الشاروني و محمود سيد أحمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠، ص ص ٢١-٢٤.

نقطة ارتكاز مشتركة، جعلت حركتها نابعة من قوة ذات طبيعة متجانسة، ولتحديد طبيعة هذه القوة ينبغي اللجوء الى عبارة "العقل". فالعقل هو نقطة الإلتقاء وإنبعاث الأفكار في ذلك القرن في المحور الأساسي لفلسفة الأنوار، كون العقل كفيل بحل كل مشاكل الإنسان والتدرج لبلوغ الكمال، و ذلك بمعرفة قوانين الكون معرفة علمية. هذه العقلانية كانت "نقدية" بالدرجة الأولى تطمح الى تحطيم المؤسسات السياسية والإجتماعية القائمة على التعسف والظلم. وتوجه النقد لسيطرة الكنيسة في البداية، لكنه لم يقتصر على ذلك فقط، بل امتد ليشمل المؤسسات الإجتماعية والسياسية القائمة آنذاك. وبذلك نجد أن مهمة فلاسفة الأنوار لم تكن مهمة سلبية مقتصرة على النقد، وإنما ايجابية أيضاً تطمح الى تأكيد قدرة الإنسان، بهدى من العقل على ايجاد مجتمع قائم على التسامح في العقائد والعدالة والمساواة في الحقوق الأساسية كالحرية السياسية والفكرية. وهكذا تم تنصيب العقل في عصر الأنوار بإعتباره السلطة العليا في المجتمع و أوكلت له مهمتان أساسيتان، مهمة نقدية هدفها تسليط الضوء على الأوضاع الفاسدة. و المهمة الثانية، هو تصور فلاسفة الأنوار أن تحرير عقل الإنسان من كل أشكال العبودية هو الخطوة الأولى والضرورية لكي يتسنى له أداء مهمته البنائية المتمثلة في ترسيخ نظام جديد للأشياء نابع من قوانين العقل نفسه، حتى تنتشر الافكار التي تدعو للعدالة والمعرفة والحرية وغيرها، ويتم إصلاح أساليب المعيشة والسياسة والإجتماع والأخلاق وفقاً لقوانين العقل[١].

بناءاً على ماسبق يمكننا القول بأنه برز في أوروبا آبان القرن الثامن عشر حقبة ثقافية وفكرية واسعة سميت هذه الحقبة في عصر الحديث بعصر التنوير، وهي نتاج عصر العقل، إذ تم تنصيب العقل في عصر الأنوار بأعتباره السلطة العليا، وكانت مهمته الرئيسية هي نقدية و هدفها تسليط الضوء على الأوضاع الفاسدة والقضاء عليها، وكذلك تحرير العقل من كل أشكال العبودية. و ساهم التنوير في تطوير مذاهب فكرية و فلسفية جديدة؛ إضافة الى ظهور التيار العقلي والتجريبي كمنهج علمي، والذي مهد الطريق لظهور الإتجاهات النقدية. إذ أصبح النقد صيرورة معرفية مرتبطة بالنشاط المتميز للعقل ليتحول الى منهج نقدي قائم على الجدل العقلي ليصبح محوراً للفكر الفلسفي خضعت له جميع ظواهر الحياة.

المطلب الثاني/ التنوير الألماني

من نافلة القول أن التنوير ابتدأ في انكلترا ثم فرنسا وبعد ذلك تبعتهما المانيا. وقد تحدث عن فعل التنوير الذي شهدته اوروبا أبان القرن الثامن عشر على الأقل ثلاث لغات اوروبية: فهو بحسب التقليد الأنكليزي The Enlightenment وبحسب التقليد الفرنسي Eclaireissement/ Les Lumieres وبحسب التقليد الألمانيDie Aufkläerung، وكلها تعني التنوير أو الإيضاح. فقد لعبت الفلسفة الإنكليزية دوراً كبيراً في ظهور وتطور التنوير، وقد دعا انصار هذا التيار الواسع، المناهض للأيديولوجية الأقطاعية، الى الحد من الدين والإيمان لصالح العلم والعقل، والى تحرير الأخلاق من وصايا الدين.

(١) فتحية بو رحلة، عصر الأنوار في فرنسا قضايا وأهدافه، في مجموعة باحثين: سؤال الحداثة والتنوير في الفكر الغربي والعربي، منشورات دار الأختلاف، الجزائر، ٢٠١٣، ص ص١٥-١٧.

ونادوا " بالنور الطبيعي للعقل" كوسيلة رئيسية، مستقلة عن الدين لتحسين أوضاع المجتمع، وكانوا يرون في نشر الثقافة والعلم بين الجماهير قوة محركة للتطور التأريخي، و شرطاً لإنتصار العقل[١].

وفيما يخص تناول موضوع التنوير في ألمانيا فإن له أسباب عدة، أهمها يتمثل في سوء حالة الأمة الألمانية بعد انتهاء حرب الثلاثين عام، تلك الحرب التي دمرت مدنها وقراها، وقضت على مئات الألوف من سكانها. مع ذلك فإن الفكر العقلاني والتنويري انبثق على أثر تلك الحرب[٢].

وكان الدافع الأكبر للفلاسفة الألمان الى كتابة فلسفتهم السياسية، هو من أجل اعادة تنظيم الدولة والمجتمع على أساس عقلي، إذ يمكن التوفيق بين النظم الإجتماعية والسياسية وبين حرية الفرد ومصالحه، وبناء مجتمع أكثر مساواة وعدالة[٣]. وبذلك أبتدأ التنوير على يد **ليبنتز** في الفترة التي كان فيها الفرد الألماني يطرح جملة من الأسئلة حول حرب الثلاثين عام، **ولماذا حدث ما حدث بين أبناء الدين المسيحي (الكاثوليك والبروتستانت)؟ وهل هناك طريقة أخرى لفهم الدين بدون التعصب؟** ومن تلك اللحظة انبثق التنوير الألماني كحركة تأريخية متأثر في مراحله الأولى بالتنوير الأنكليزي والفرنسي، إلا أن فلاسفة ألمانيا بدءاً من **لبنتز** مروراً **بلسينغ** و **كانط و فيشته** وغيرهم انتهاءاً **بهيغل**، سرعان ما تحملوا مسؤليتهم التأريخية امام شعوبهم لينقذوا ألمانيا من براثن التعصب والتطرف من خلال قراءة عقلانية وتنويرية لتراثهم، وأن ينشروا التنوير ونقله الى شرائح واسعة من الشعب الألماني عن طريق المدارس والجامعات والصحافة ونشر المعرفة بواسطة المطبوعات[٤].

كانت ألمانيا في القرن الثامن عشر بلداً يسير في طريق التطور الرأسمالي؛ بيد أن هذا التطور كان أبطأ مما كان عليه في انكلترا وفرنسا، فكان يترتب عليه تذليل صعوبات كبيرة للغاية، فقد ناضل المنورين الالمان من اجل انتصار العقل، وسعوا الى حل النزاع بين الايمان والعقل لصالح الاخير. ودافعوا عن مشروعية النقد العلمي لمسائل كانت تعد، حتى ذلك الحين, وقفاً على اللاهوت. من حيث ان التنوير الالماني لم يكن يهدف الى انتزاع الحقوق من الدين لصالح العقل، بقدر ماسعى الى ايجاد حل وسط بين المعرفة والايمان، بين العلم والدين[٥].

وهكذا تنامت حركة التنوير في المانيا داخل المجتمع تحت تأثير **كريستيان توماسيوس Christian Thomasios(١٦٥٥-١٧٢٨)** و **كريستيان فولف** و **يوهان كريستوف غوتشاد *Johann Christoph* Gottsched(١٧٠٠-١٧٧٦)** وتنامت الدعوة الى المساواة الإجتماعية للأفراد أمام العقل، والى الخضوع الى عملية تأسيس معقلِنة للحقيقة، ينبغي فيها الإبتعاد عن الفوارق الطبقية على الأقل من حيث المبدأ، إلا أن نقداً واضحاً للحكومة لم يتم التعبير عنه في ألمانيا إلا بعد عام ١٧٧٠. قبل ذلك التأريخ، ظهرت محاولات فردية للتنوير الالماني لتوجيه الادب والحياة العملية طبقاً للعقل وكان اهم

---

(١) جماعة من اساتذة سوفيت, المرجع سبق ذكره، ص١٨٠.

(٢) نادية بونفقة، المرجع سبق ذكره، ص٤١.

(٣) احسان عبدالهادي النائب، مفهوم المجتمع المدني عند كانط وهيغل، المجلة السياسية والدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة المستنصرية، العددان (٣٣- ٣٤)، بغداد، ٢٠١٦-٢٠١٧، ص٧٨.

(٤) نادية بونفقة، المرجع سبق ذكره، ص٤٢.

(٥) جماعة من اساتذة سوفيت, المرجع سبق ذكره, ص ص٢٠٥-٢٠٦.

ممثلي التنوير في تلك الفترة في المانيا هما **كريستيان فايزو** و **كريستيان توماسيوس**، وإتسمت هذه المرحلة الأولى للتنوير بالإحالة الى الثقافات الجزئية البروتستانتية-الحضرية، بتركيزها على الذكاء السياسي وتطور عقل الحكومة. وكان هدف الذكاء هو إختبار الواقع من خلال الحواس المدعمة بالعقل (أي إختباره حسياً)، ومعرفة الحقيقة كما هي من دون أحكام مسبقة[١]. وفي مرحلة لاحقة ظهرت محاولات شعرية نقدية **ليوهان كريستوف غوتشاد** عام ١٧٣٠، إضافة الى كتابات **كرستيان فولف**، مركزين في برنامجهم التنويري على الإمكانية العقلانية وإرتباطاتها النظرية المغلقة نسقياً، وتأتي بعد ذلك مرحلة أخرى في التنوير الألماني تدعى بالتنوير الأعلى، وظهر فيها مطلب جديد يتجلى في "التفكير الذاتي" اكثر مما يتجلى في "التفكير الصحيح"، الشيء الذي كان واضحاً في كتابات **ليسنغ** الذي قال: " ليس إمتلاك الحقيقة هو الذي يجعل الإنسان إنساناً أو يزعم أنه كذلك، بل الجهد الصادق وحده من أجلها هو الذي يصنع قيمة الإنسان". كما جاء كتابات **هيرمان صمويلHermann Samuel** (١٦٩٤-١٧٦٨) في اللاهوتية النقدية و **يوهان هينريش Johann Heinrich (١٧٤٦-١٨٢٧)** لتشك في يقين **فولف** المطلق بإمكانية معرفية صحيحة، وطالبوا بنسق جديد من علماً لغوياً نقدياً للرموز السيمائية. وبذلك تميز التنوير الأعلى في المانيا بالإنفتاح المتزايد على التجربة والإهتمام بعلم النفس التجريبي الذي ادى الى انقلاب ثوري في تأريخ وعي التنوير[٢].

بعد ذلك تأتي مرحلة التنوير المتأخر بدءاً من عام ١٧٧٠، والذي اتسم بالإتصال بالعالم من طرف الطبقة الوسطى، وانتشار الكتب وتزايد شغف الجمهور للقراءة في عموم المانيا، وتحول التنوير الى حركة وطنية، مما ساعد على إنتشار وعي ذاتي واضح، ومعه فكرة الفرد الناضج والمفكر ذاتياً. وجاءت كتابات **يوهان كريستيان لوسيوس** و **مايكل هيسمان** حول علم النفس الإجتماعي والتنافس مع كتاب **مايكل إيغنار شميث** الذي طرح الإحساس الذاتي ومقولة " الإنسان يشعر أولاً أنه موجود" بالضد من مقولة العقلانية(الكوجيتو)، إذ تحول الوجود الى بداهة الإحساس، والحدود مابين هو داخلي وما هو خارجي أضحت واضحة. ومع ذلك لم يتم التخلي كلياً عن النموذج التقليدي للعقل، الذي يلخص نموذجه جواب **كانط** ١٧٨٤ عن سؤال، **ماذا تعني التنوير؟** والذي قدم فيه فكرة الفردانية والنقد السياسي، وهو ذلك التقليد النقدي والشكي **لتوماسيوس وليسنغ وفيلاند**[٣].

أن لسؤال التنوير كان بدايته مع مقالة أحد أبرز المثقفين التنويريين الألمان **يوهان إريش بيستر**(١٧٤٩-١٨١٦)، مدير (مجلة برلين الشهرية) التي أسهمت في حركة التنوير الألمانية. ففي أيلول عام ١٧٨٣، كتب مقالاً يوجه فيه النقد لسلطة رجال الدين، لا سيما في مراسيم الزواج، ويتسائل: هل الزواج يتم بوفق الطبيعة والعقل وأحوال الناس، أم بوفق ما يترسمه رجال الدين؟ إذ حسب المتنورين إن الزواج ليس بحاجة لتبريك رجال الدين. بيد أن هذا المقال أثار حفيظة قس بروتستانتي يدعى **يوهان فريدريش تسولز**(١٧٣٩-١٨٠٥) ورد بعد ثلاثة أشهر على المقال المذكور وفي نفس المجلة، يدافع

---

(١) للزيادة في التفاصيل ينظر: إرنست كاسيرر، المرجع سبق ذكره، ص ص٤٦-٥١.

(٢) نقلا عن: إرنست كاسيرر، المرجع سبق ذكره، ص ص٥٢-٦٢.

(٣)إرنست كاسيرر، المرجع سبق ذكره، ص ص٦٣-٦٦.

فيه ويرى من الأليق أن يتكفل الدين بترسيم الزواج و تبريكه. وهكذا كان سؤال التنوير حكاية، استدعى تدخل نخبة من مفكري التنوير الألمان أبرزهم ثلاثة: **موسى مندلسون**(١٧٢٩-١٧٨٦)، و **إيمانويل كانط**، و **كارل فريديش باهردت**(١٧٤١-١٧٩٢)[١].

لقد استوقفت الفيلسوف التنويري والمفكر الديني **موسى مندلسون(١٧٢٩-١٧٨٦)** أمور ثلاثة تهم مسألة التعريف بالتنوير: معناه وأبعاده ومخاطره، ففي ما يخص معناه، توصل بأنه معرفة عقلية، و وظيفة التنوير هي إكتساب الإنسان المقدرة على إعمال تفكيره في شؤون الحياة الإنسانية، وغاية التنوير لا تخرج عن تحقيق غايات الأنسان الأسمى، وهي: إكتشاف الحقيقة، والتعلق بالجمال، والتوق الى الخير، وفعل العمل الصالح. أما فيما يتعلق بأبعاد التنوير، يرى حاجة الإنسان للتنوير، من حيث أن التنوير مطلب إنسي، وهو مطلب جوهري للإنسان بغاية تحقيق إنسيته. لكن حاجة الإنسان_من حيث هو إنسان_ الى التنوير، وحاجة المواطن_من حيث هو عضو في المجتمع_ الى الفعل ذاته[٢].

وان تنوير الإنسان لَيتعلق بكنه الإنسان من حيث هو إنسان، أما تنوير المواطن فيتصل بمطالب "الوظيفة" التي يؤديها، و "الوضع الإجتماعي" الذي يشغله. والحال أن هذين الجانبين المتكاملين من التنوير يمكن في بعض الظروف التأريخية والإجتماعية أن يبلغا حد الصراع والتناقض، وتلك هي القضية. تلك هي المخاطر التي قد تترتب على التنوير، إذ يمكن أن يحدث الصراع بين تنوير الإنسان من حيث هو إنسان، وتنويره من حيث هو مواطن، فبعض المعارف الصالحة للإنسان من حيث صفته الأولى (معارف نقدية) قد تكون ضارة به من حيث صفته الثانية (مطلب طاعة قوانين الجماعة). إذ قال: " شقية هي الدولة التي تحتم عليها الظروف أن تعترف بأن حقيقة الإنسان ومصيره فيها بإعتباره إنساناً لا ينسجم مع حقيقته ومصيره بحسبانه مواطناً". هذا وقد ختم مندلسون جوابه عن معنى **التنوير؟** بالتعبير عن مخاوفه من أن يقود تطرف التنوير _بحسب ما سيشهد على ذلك الحال بالفعل بفرنسا أيام الثورة_ الى انهيار الدولة والى أفول المجتمع، إذ بقدر ما يكون المرقى عظيماً يكون المهوى عميقاً. إن إساءة استخدام التنوير يضعف الشعور الأخلاقي، ويؤدي الى التصلب والأنانية والكفر والفوضى. وإساءة استخدام الحضارة يفضي الى الترف والنفاق والخرافة والعبودية. وكلما تقدم التنوير جنباً الى جنب مع التحضير، كانا أفضل وسيلة لوقف الفساد، والثقافة التي تسود في أمة من الأمم نتيجة امتزاج التنوير بالحضارة تجعل هذه الأمة أقل عرضة للفساد[٣].

وبالنسبة الى **كانط** فقد كان معجباً بحركة التنوير، وظهور التيار العقلي والتيار التجريبي والتي كانت البداية للإتجاه النقدي والمساهمة في تأسيس الحداثة الفلسفية المبنية على مبدأ الذات ومبدأ العقلانية، الأمر الذي مهد لظهور **كانط** على المسرح الفكري وتطويره للفلسفة النقدية. من حيث أن معالم التنوير قد تجلت في المانيا بوضع كل مجالات النشاط العقلي و الإنساني أمام محكمة العقل[٤].

---

(١) محمد الشيخ، ما معنى التنوير،الحوار اليوم، متاح على الرابط الألكتروني التالي:
http://alhiwartoday.net/node/9841، تأريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٦/١٠.

(٢) محمد الشيخ، المرجع سبق ذكره.

(٣) نقلاً عن: محمد الشيخ، المرجع سبق ذكره.

(٤) إحسان عبدالهادي النائب، المرجع سبق ذكره، ص٨٥.

وقد نشر **كانط** عام١٧٨٤ مقال **ماهو التنوير؟** وتضمن: " التنوير هو خروج الإنسان من قصوره في حق نفسه بسبب عجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر. وقد يرجع الذنب الى الإنسان نفسه لإفتقاره الى العزم والشجاعة لإستخدام عقله بدون توجيه من إنسان آخر". وان شعار التنوير يرتكز على "كن شجاعاً واستخدم عقلك بنفسك"، أي أن الإنسان مسؤل عن قصوره بسبب نقص شجاعته وجرأته على إتخاذ القرار بمفرده. وإن هناك مصلحة في إبقاء الناس على قصورهم وعجزهم. كما يوضح النص ان للإنسان عقلاً يوجهه نحو المعرفة الصحيحة[١]. وهكذا جاءت أهم الملامح الفكرية والفلسفية التي جسدها عصر التنوير، وتطورت الفلسفة الغربية في إتجاهين أساسيين، هما، الإتجاه التجريبي الذي أعطى للحواس قيمتها المعرفية، والإتجاه العقلي، إذ جرى الإعتزاز بقيمة العقل والعلم، والإيمان بأن التقدم الإنساني مرهون بمدى تقدم المعرفة العقلية والعلمية، وقد لاحظ **كانط** على معاصريه مغالاتهم في إعلاء من قدرة العقل وإمكانيته تجاوز العالم المحسوس، وأنهم نظروا الى العالم الطبيعي على أنه عالم متغير ولا يشتمل على الكلي الضروري. وهما الصفتان اللتان تميزان المعرفة العقلية[٢].

وقد بذل **كانط** جهداً كبيراً في بيان هذين الامرين، وأوضح الى أي حد يستطيع العقل المحظ(الخالص)،(أي العقل الذي لا يعتمد في تحصيل المعرفة على التجربة أو الحواس، وإنما أنشأها من تلقاء نفسه بحكم الطبيعةو تركيبته)، أن يحصل على معرفة فصار السؤال: **لماذا كانت تجربة التنوير على درجة كبيرة من الأهمية؟** ويمكن إستجلاء الإجابة من خلال ما طالب به كانط من حماية الحرية الفكرية، ضد القيم المهددة لهذه الحرية[٣].

وفي جوابه، **ما الذي يعنيه التنوير؟** أكد المفكر الألماني **كارل فريدريش باهردت(١٧٤١-١٧٩٢)** عام ١٧٨٧، على أن أغلى قيمة يمتلكها الإنسان إنما هي قيمة "الحرية"، وإن أغلى أنواع الحرية هي "حرية الفكر". والحال أن حرية التفكير و إبداء الحكم هي المصدر الحقيقي الوحيد لكل الأنوار الإنسانية، وهذه الأنوار هي أصل كل سعادة بشرية. وتساءل **باهردت: ما الذي يعنيه التنوير؟ وما الذي يفيده الإنسان المتنور؟ وما الذي يقصد بدلالة الأزمنة المتنورة؟** فعلى وجه السلب، لا يعني التنوير حجم المعارف التي تختزنها ذاكرة الفرد، ويتحدد التنوير على وجه الإيجاب، بأن يتعلم الإنسان أن يفكر بنفسه، وأن تكون آراءه عن الأشياء بناءاً على تجربيته هو لا على تجارب الغير، وأن يحكم على الأمور وفق قناعته العقلية، ولا يكتفي بترديد أحكام الآخرين. أي "التنوير" إنما هو إقتدار المرء على أن يفكر من تلقاء ذاته. وبالنسبة لمفهو الإنسان المتنور، على أنه ذلك الإنسان الذي اهتدى الى افكاره بمحض استعمال عقله استعمالاً حراً، ولا عبرة بحجم المعارف وكثرتها. وبالمثل، فإن الأزمنة المتنورة، هي الأزمنة التي يصير فيها الفرد يفكر بلا اكراه أو اعتماد على تقليد أو محاباة بغرض الحفاظ على مكانة أو

---

(١) المرجع نفسه، ص٨٥.

(٢) أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١، ص١٧٨.

(٣) ستيفن ديلو و تيموني ديل، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ترجمة ربيع وهبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠، ص٤٠١.

وظيفة اجتماعية، أو لجوء الى سلطة يستظل بظلها[١].

وهكذا فتح **كانط** الطريق للفلاسفة الألمان، فقد اعتقد **فيشته Johann Gottlieb Fichte** (١٧٦٢-١٨١٤) أن الأنا اللامتناهية قد انتجت عالماً يجد فيه كل فرد منتاه المادة لكي يؤدي واجبه ورسالته، ونظر **شلنغ Friedrich Wilhelm Schelling**(١٧٧٥-١٨٥٤) الى العالم على أنه التجلي لروح لا متناهية تبحث عن صورة جديدة من التعبير الجمالي. و وجد الرومانتيكيين الألمان أن الكون يستجيب بطرق عديدة للدوافع الداخلية لأرواحهم، وختم **هيغل** الحركة الرومانسية في جانبها الفلسفي، و علمنا بطريقة أكثر عقلانية أن كل عمليات الطبيعة هي لحظات في تطور "الروح المطلقAbsolute Mind " الذي يفكر بعملية منطقية: فلا بد من تفسير التأريخ البشري، والفن، والعلم، والدين، وفقاً لمبادئ روحية، وموضوعية، وعقلية[٢]. وجاء أيضاً عند هؤلاء الفلاسفة رد الفعل ضد النزعة اللاإرادية صورة أعمق. فقد نمى **كانط** و **فيشته** و **هيغل** نوعاً جديداً من الفلسفة تتوخى أن تصون المعرفة والفضيلة معاً. فعند **كانط** وبدرجة أكبر عند **فيشته** سيقت النزعة الذاتية الى أطراف جديدة. وفيما يختص بالنزعة الذاتية، بدأ رد الفعل مع **هيغل** الذي سعى من خلال منطقه الى إقامة طريق جديد للإفلات من الفرد الى العالم. ومن جانب آخر بسط **فيشته** و **شلنغ** نظريات سياسية كان لها، وما برح لها، نفوذ عميق على مجرى التأريخ[٣].

وقد طور من يطلق عليهم "الفلاسفة الشعبيون" فلسفة للجمهور المثقف ونشر الأفكار الفلسفية في المانيا. وقد ترجم **كريستيان غارف** Christian Garve (١٧٤٢-١٧٩٨) عدداً من أعمال فلاسفة اخلاق انكلترا الى الألمانية مثل (**فريغستون**، **وبايلي**، و **آدم سمث**)، ومارس **كريستيان فردريش نيقولا Christian Friedrich Nicolai** (١٧٣٣-١٨١١)، تأثيراً ملحوظاً من خلال تحريره لعدة مجلات مثل: مكتبة علم الجمال و المكتبة الألمانية العامة، والأدب الألماني الجديد. كما قام **كريستوف مارتن ويلاند Christoph Martin Wieland** (١٧١٣-١٨١٣) بترجمة روايات **شكسبير** الى اللغة الألمانية[٤]. كما يعتبر **يوهان غوته** من كبار المفكرين الذين لعبوا دور مهم في التنوير اللألماني الذي قال بكلية الحركة والتغيير والتطور في الطبيعة، لكنه لم يمض بنظرته المادية والديالكتيكية الى نهايتها المنطقية. كما أشتهر من أعلام التنوير **شيلرFriedrich von Schiller (١٧٥٩-١٨٠٥) و هيردر Johann Gottfried Herder(١٧٤٤-١٨٠٣)**[٥].

وهكذا كانت الفلسفة الألمانية ولا تزال منظومة من الأفكار، ذات التأثير القوي في تأريخ الفلسفة، وهي ذات مصادر مهمة في تأريخ الثقافة الألمانية. كما أنها تعد لحظة مركزية في تطور تأريخ اوروبا

---

(١) محمد الشيخ، المرجع سبق ذكره.

(٢) وليم كيلي رايت، تأريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، التنوير للنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص٢٥٤.

(٣) برتراند رسل، تأريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث(الفلسفة الحديثة)، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١، ص٢٧١.

(٤) فردريك كوبلستون، المرجع سبق ذكره، ص١٨٣.

(٥) جماعة اساتذة سوفيت، المرجع سبق ذكره، ص ٢٠٧.

بوصفها وحدة ثقافية متعددة الانغام[١]. وضمن هذه المنظومة الفكرية يندرج التطور الحاصل من **كانط** الى **هيغل**. فهذه المنظومة الفكرية الخاصة والتي هي مطلقة الإختلاف، تعد حركة عقلانية " في عصر العقل"[التنوير]، بل أكثر من ذلك، فقد تم عدها " تجلي هذا العقل" بوصفه الكل، وعلماً كذلك بوصفه تقدماً وحرية وحقاً (قانوناً). فالفلاسفة الألمان انخرطوا بحسب فهمهم الذاتي في الإنقلاب الفاتح على عصر جديد. فقد كان الفكر والفلسفة الألمانية في نهايات القرن الثامن عشر الى حدود منتصف القرن التاسع عشر شاهداً لدورة من التغيرات العلمية والثقافية والسياسية والإجتماعية[٢].

بناءاً على ماسبق يمكننا القول بانه على أثر حرب الثلاثين عام و تبعياته التي حلت بألمانيا انبثق الفكر العقلاني والتنويري الألماني؛ الأمر الذي دفع بالفلاسفة الألمان الى كتابة فلسفتهم السياسية من أجل بناء الدولة والمجتمع على أساس عقلي. وهكذا أنبثق التنوير الألماني بدءاً من **ليبنتز** مروراً **بليسنغ وكانط و فيشته** وإنتهاء **بهيغل**، الذي تحملوا مسؤليتهم امام شعوبهم وان ينشروا التنوير الى شرائح واسعة من الشعب الألماني، لينقذوا المانيا من براثن التعصب والتطرف من خلال قراءة عقلانية لتراثهم. وناضل المنورون الألمان من أجل انتصار العقل، ودافعوا عن مشروعية النقد العلمي. وتنامت حركة التنوير في ألمانيا داخل المجتمع، بدعوتها الى المساواة الإجتماعية للأفراد أمام العقل.

المطلب الثالث/ بدايات الإتجاهات النقدية الألمانية

قبل الولوج الى جذور النقد في الفكر السياسي الألماني، نود أن نشير إلى نشأة الفلسفة الحديثة بإختصار شديد، إذ كانت بدايات القرن الرابع عشر مرحلة إنحدار القروسطية، تحت تأثير، التطورات التي حصلت في البنى الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والفكرية للمجتمع الأوربي، تلك التطورات أفرزت اتجاهات و نظريات فكرية جديدة ستكون نواة لفلسفة اوروبية حديثة ومعاصرة. ونستطيع حصر تلك التطورات في أربعة احداث هامة. أولاً، نشوء حركة النهضة الإيطالية والتي وجهت الفكر نحو الدراسات الإنسانية والإهتمام بالقيم الإنسانية بدلاً من الإهتمام بالمثل الميتافيزيقية. وثانياً، النزعة الإنسانية التي التي تمثلت بنهضة فكرية على كافة المستويات الفلسفية والعلمية. وثالثاً، حركة الإصلاح الديني، والتي قامت على فكرة (كهانة المجتمع). ورابعاً، تطور العلوم نحو إعادة الدراسات التجربية والتي اشرت بدايات حركة النقد[٣].

كما جاءت الفلسفة التجريبية كرد فعل ضد التيار العقلي، وكان القرن السابع عشر مرحلة حسابات على مستوى الفكر، فقد كشفت عن أزمة قيم على كافة المستويات ولا سيما الإنسانية، وانتهى إلى إعادة النظر بجميع القيم السياسية والدينية، الأمر الذي أدى الى نضوج فكرة النقد[٤]. ليبدأ العلم التجريبي على يد **فرانسيس بيكون**، والتي استندت فلسفته على الملاحظة الخارجية من جهة

---

(١) مجموعة مؤلفين، المثالية الألمانية، تحرير هنس زند كولر، ترجمة ابو يعرب المرزوقي وآخرون، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ٢٠١٢، ص٣٣.

(٢)مجموعة مؤلفين، المثالية الألمانية، المرجع سبق ذكره، ص٣٨.

(٣) محمد سليمان حسن، دراسات في الفلسفة الأوربية، دار علاء الدين، دار الطليعة، دمشق، ٢٠٠٨،ص ص١٤- ١٥.

(٤) المرجع نفسه، ص١٨.

والتجربة العلمية من جهة أخرى. وكان منهجه يهدف الى تحرير العقل من كل الشوائب والمعتقدات المغروسة فيه والمتوارثة[١].

أما فيما يتعلق **بديكارت** فيعد مؤسس الفلسفة الحديثة أو أبو الفلسفة الحديثة[٢]، ويعد من رواد الذين وضعوا الفلسفة النقدية الحديثة، وكان من الفلاسفة الذين لا يريد أن يؤمن بشيء حتى يفحص السبب الذي يجعله يؤمن به، ويعتقد أنه من الجدير بالمحاولة أن تفكر في ما يمكن أن تكون متأكدا في معرفته، وطور منهجاً من أجل ذلك، يعرف هذ المنهج بالمنهج الشك الديكارتي[٣]. ان روح فلسفة **ديكارت** و منهجيته تقوم على أنه يحاول التخلص من كل شوائب الأحكام المتعلقة بالذهن، واجراء مراجعة نقدية لما يحمله الذهن من الأفكار، على أن لا يأخذ شيئاً منها مأخذ الحقيقة إلا ما يتصف بالوضوح الكامل، ويمكن القيام بهذه المهمة اذا اعيدت الأشياء الى أصولها، وقبل كل شيء يجب برهنة أن الذات الإنسانية جوهر مفكر. وهذا يعني أن الأنسان يفكر، وإنه موجود من حيث أنه مفكر، أي جعل من الذات المفكرة "آنيَته" أو "ماهيته" الي أن وصل الى مستوى اليقين[٤]. ويرى انه من الضروري أن تشك في كل شيء لأقصى درجة ممكنة[٥]، ويقول في ذلك "لا أقبل صحة شيء على أنه حق، إلا إذا تأكدت يقيناً على أنه كذلك دون أدنى شك"[٦]. لذلك قال **ديكارت** " أنا أفكر إذا أنا موجود"[٧] والذي يعرف بمبدأ "**الكوجيتو**". وقال ايضاً "انني لم أعرف شيئاً يخص ماهيتي إلا إنني شيء يفكر، أو شيء له في ذاته ملكة التفكير"[٨].

بعد هذه الإشارة البسيطة و الملخصة لبدايات الفلسفة الحديثة، نود أن نسلط الضوء على البدايات أو الجذور النقدية في الفكر السياسي الألماني المتمثلة في كل من **ليبنتز** و **فولف وليسنغ**، والذين تأثروا بالفلسفة الحديثة المشار اليها، ونقصد كذلك بهذه البدايات الأولى هو الحقبة التي اكتملت بعدها بالفلسفة الكانطية و أسست للإتجاهات النقدية في الفكر السياسي الألماني.

والبداية كانت مع **ليبنتزGottfried Wilhelm Leibniz (١٦٤٦-١٧١٦)**الذي يعد من مشاهير

---

(١) د.مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه_دراسة تحليلية ونقدية، ط٣، دار الطليعة للطباعة والنش، بيروت،١٩٩٦، ص٦٧.

(٢) برتراند رسل، المرجع سبق ذكره ، ص١٠٤.

(٣) نايجل واربرتون، مختصر تأريخ الفلسفة، ترجمة محمد مفضل، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد،٢٠١٩، ص٩٩.

(٤) د.عبدالله إبراهيم، المركزية الغربية:اشكالية التكوين والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي،بيروت،١٩٩٧، ص ص٧٥-٧٩.

(٥) رينية ديكارت، الـتأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة وتقديم عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة،٢٠٠٩، ص٧٢.

(٦) رينية ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط٣، ١٩٨٥، ص١٩٠.

(٧) المرجع نفسه ، ص٢١٤.

(٨) رينية ديكارت، الـتأملات في الفلسفة الأولى، المرجع سبق ذكره، ص٤٨.

رجال الفلسفة في عصره ولقي مناصرة كبيرة من قبل أناس مرموقين[١]. إذ أهتم بالمنهج الرياضي منذ دراسته عند استاذه **يعقوب توماسيوس(١٦٢٢-١٦٨٤)**، و حاول تطبيق المنهج الرياضي في جميع المجالات، مثل الميتافيزيقا واللاهوت لاثبات وجود الله، ويرى بأن الفلسفة الحقيقية يجب ان تخدم الدين بأن ترفعنا الى الله وتجعلنا نعرفه وأنه لا سبيل الى ذلك الا بإستخدام المنهج الرياضي[٢]. لقد أتسمت فلسفته النقدية بطابع تحليلي يسعى فيه الى تحليل كل فكرة من الأفكار ليصل الى ما تحتويه من علاقات وتصورات ليستخرج ما يكمن فيها من مبادئ وقوانين. **كيف ذلك؟** من خلال تحليله لفكرة الجوهر أو "المونادة" توصل الى أن العالم الخارجي يتكون من وحدات حقيقية و ظواهر مُحكمة البناء، أي من روح و مادة، و أفضت من خلالها الى تحديد نظريته في المعرفة. ومن خلال نـقــده لنظرية **لوك** التي تجد المعرفة مكتسبة، و النظرية **الديكارتية** التي تؤمن بأن المعرفة فطرية، قدم **ليبنتز** نظريته عن المعرفة و التي يرى فيها بأن المعرفة فطرية و مكتسبة معاً، فطرية بمعنى أن الذهن لديه القدرة على معرفتها، وأن هذه المعارف تنبثق من داخل "المونـاد". أما المكتسبة فتعني أنها تتأثر بما تثيره ادراكاتنا للعالم الخارجي وما تمدها به تجاربها من مادة خام تتيح الفرصة للنقل من أفكار موجودة بالقوة الى الوجود بالفعل[٣]. من هنا فإن إتجاهه النقدي قائم على توحيد فكرتين: الذهن والمادة، ويرى بأن الله خلق مملكتين توأمين هما (الذهن و المادة) ثم ربط بينهما بشكل دائم عن طريق نوع من (الإنسجام المقدر)، إذ يعملان جنباً الى جنب في موازاة مطلقة، ولا يؤثران على بعضهما البعض، لتضل حركتهما متوازية على الدوام(حال السببية). وهكذا هو الحال في عالمي الجسم و الذهن التؤامين، إذ أن الله قد وفق بين سلسليتهما من الأحداث إذ يتلاءمان على أكمل وجه، وإن ظواهر العالمين تنسجم في توازن مطلق مع وجوده[٤].

وهنا يثار تساؤل **متى وكيف طرح ليبنتز أفكاره النقدية؟** لقد طرحها من خلال تقويم الأفكار والنظريات الفكرية التي كانت سائدة وقتذاك. إذ قام بتأليف كتابه "الأبحاث الجديدة في الفهم الإنساني"عام ١٧٠٣، لينقد فيه على الكثير من المسائل الفلسفية التي أثارها **لوك** في كتابه "المبحث في الفهم الإنساني" الذي قد نشره عام ١٦٩٠، لاسيما فيما يتعلق بطروحات لوك الفلسفية جواباً على سؤاله الفلسفي الهام: "**هل النفس صفحة بيضاء وكل سطر بها مصدره الحواس والتجربة أم أن فيها أفكاراً ومبادئ فطرية؟**" ليحقق بذلك **ليبنتز** خطوة أساسية في تطوير الفكر النقدي الألماني، وينقل اليه التنوير الأنجليزي، إذ يرى بأن الحواس لا تعطينا الحقيقة العامة التي تتصف بالضرورة الكلية، وانما تعطينا أمثلة من الحقائق الجزئية والفردية، وأننا نقوم بإكتشاف الحقائق الضرورية في ذاتنا كلما توفرت لنا مناسبة لذلك من خلال معطيات الحواس وبالتالي يكون نجاح التجارب تأكيداً للعقل. ذلك يعني أنه لم

---

(١) فريدريك كوبلستون، المرجع سبق ذكره، ص٣٦١.

(٢) ج.ف.ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق أحمد فؤاد كامل،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة، ١٩٨٣، ص ص٦٨-٧١.

(٣) أمل مبروك، المرجع سبق ذكره، ص١٠٦.

(٤) هنتر ميد، المرجع سبق ذكره، ص١٦١.

ينكر قيمة الحواس لأنها هي التي تقدم للعقل المناسبة التي تظهر فيها الحقيقة[١].

وفي نقده لمؤلف **لوك** أيضا في جوابه على مبررات رفض الأفكار الفطرية من قبل **لوك**، يرى **ليبنتز** أن على الفلاسفة أن لا يكثروا في البديهيات التي يعتمدون عليها في استدلالاتهم وأن يتركوا للآخرين مهمة اثبات هذه البديهيات، أي أن يصلوا الى بعض الوقائع المثبتة. ويرى بأن هناك أفكاراً حقيقية يمكن التأكيد من أمكان تنفيذها، ويميز بينها وبين ما يسميه الأفكار المشكوك فيها أو المستحيلة ويعدها أفكاراً وهمية، وبينها وبين الأفكار المحتملة التي يمكن اثباتها أما قبلياً بالإستدلال واعتماد على أفكاراً أكثر بساطة، أو بعدياً عن طريق التجربة، إضافة الى تميزها عن الأفكار الأولية التي لا يمكن اثبات امكانها، وهي في الواقع ليست سوى صفاتاً لله. أما فيما يتعلق بالسؤال **هل الأفكار والحقائق فطرية؟** يرى **ليبنتز** بأنه ليس هناك ضرورة لتقرير فطريتها، ويؤكد أن أفكارنا، بما في ذلك تلك التي تأتينا من الأشياء الحسية، تأتي من أعماقنا ويمكن أن نحكم عليها في ضوء ما قرره عن طبيعة واتصال الجواهر وما يسميه بوحدة الروح بالجسد. من هنا فهو لا يقبل بالصفحة البيضاء ويرى بأننا لا نتذكر فقط أفكارنا الماضية وأنما لدينا استشعار لكل أفكارنا ولكل احاسيسنا[٢].

إلا أن أفكاره النقدية لم تتوقف عند هذا الحد، إذ قام بنقد المذهب الآلي، من خلال نظرية الصور الجوهرية التي تعود جذورها الى **أرسطو** و المدرسيون، ثم بدا له أنها لا تصلح كمبادئ لتفسير الأشياء، وأن هذه الصور لا توجد الا في العقل. ثم انتقل الى الآلية حتى وجدها بأنها ناقصة، بعد إن قام بفحص اسسها وبفحص قوانين الحركة، وذلك من خلال تقويم المذهب الآلي بنقد صورتيه المعروفتين، وهما نظرية **ديكارت** و نظرية **ديموقريطس**. الأولى تعد المادة متصلة. و يمكن تسميتها بالآلية الهندسية، والأخرى تعد المادة منفصلة، ويمكن تسميتها بالآلية الحسابية. إذ يرى **ديكارت** أن إمتداد ماهية الجسم، ويجعل من الجسم شيئاً منفعلا فحسب، لكن هذا الرأي لا يفسر (قصور) الجسم، أي مقاومة المادة للحركة، وبالتالي لا يفسر الفرق بين الجسم المتحرك وبين الجسم الساكن، اذ لا يمكن إثبات اتصال الحركة إلا بواسطة فكرة القوة أو الميل، و لولاه هذه الفكرة لعادت الحركة عبارة عن سلسلة سكونات. وكيف يستطيع **ديكارت** أن يفترض بقاء كمية الحركة هي هي في الطبيعة مع قوله بالأنتقال من الحركة الى السكون وبالعكس، فإن مثل هذا الإنتقال عبارة عن تلاشي حركة و خلق أخرى. وعلى ذلك تقوم ماهية الجسم في القوة، وهي علة الحركة، وتظل باقية حتى لو وقفت الحركة، و فكرة القوة فكرة ميتافيزيقية تجاوز نطاق العلم الطبيعي ونطاق الآلية[٣].

أما ـ**ديموقريطس(٤٦٠ق.م- ٣٦٠ق.م)** فيقول بجواهر فردة يفصل بينها خلاء و لكن الجوهر الفرد لا يمكن أن يكون وحيد بمعنى الكلمة، أي جوهراً حقاً. فأن كل جسم مهما افترضناه صغيراً فهو ممتد، وكل امتداد فهو منقسم أي أنه مجموعة جواهر. أذا فالمادة كثرة بحتة، وما الجواهر الفردة المادية إلا أثر لضعف مخيلتنا التي تحب ان تسكن وتتعجل الوصول إلى نهاية في التقسيم والتحليل. والكثرة كثرة وحدات بمعنى الكلمة، وليس من وحدة بمعنى الكلمة إلا وحدة الموجود اللا مادي الغير منقسم.

---

(١) ج.ف.ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني،المرجع سبق ذكره، ص ص ٥٧ - ٥٨.

(٢)ج.ف.ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني،المرجع سبق ذكره، ص٥٩.

(٣) يوسف كرم، تأريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٦، ص ص١٢٨-١٢٩.

فيجب القول بأن الكثرة تقوم في وحدات لا مادية، في "جواهر فردة صورية" أو " نقطة ميتافيزيقية". وهي مُحكمة أي غير منقسمة، و وجودية في الوقت نفسه، فهي وسط بين الجوهر الفرد المادي الذي هو وجودي وغير محكم، وبين النقطة الرياضية التي هي محكمة غير وجودية. وبذلك نبلغ الى الميتافيزيقا من هذه الناحية أيضاً: نبلغ الى فكرة الوحدة الصورية فنحصل على فكرة متميزة عن وجود الجسم بعد أن بلغنا الى فكرة القوة وحصلنا على فكرة متميزة عن ماهية الجسم. فنكون قد بلغنا بإمتحان صورتي الآلية إلى نتيجة واحدة هي أن الموجود وحده قوة[١].

من هنا فإن تأثير فلسفة **ليبنتز** لم يكن وقفاً على عصره فقط، فقد امتد تأثير فلسفته الى القرون اللاحقة، اذ كانت فلسفته مصدراً مهما سقا منه الكثيرون، ومن أهم الفلاسفة الذين أستمدوا عدتهم الفلسفية من بعض التأويلات الفلسفية **لليبنتز** هو **كريستيان فولف** الذي تمثل المرحلة الثانية من التنوير الألماني، إذ سيطرت نظريته ومدرسته على التفكير العلمي والفلسفي في ألمانيا خلال القرن الثامن عشر. من خلال سعيه إلى تحقيق توحيد جوهري بين تأسيس فلسفة **ديكارت** و بين أفكار المدرسية الوسيطة، وفي الوقت نفسه إلى إعادة توحيد **أفلاطون** و **أرسطو**. قام **فولف** بصياغة الفلسفة في كتب مدرسية لاتينية وألمانية عرفت انتشاراً واسعاً[٢].

وكانت فلسفة **فولف** وأتباعه على درجة عالية من التنوير الألماني، فقد شكلت برنامجاً لوضع كل مجالات نشاط العقل الإنساني أمام محكمة العقل. وكان هذا هو السبب في معارضة اللاهوتيين اللوثريين و التقويين **لفولف**، لأنهم أعتقدوا أن نزعته العقلية كانت عدواً للإيمان. كما مَثل مذهبه صعود الطبقة الوسطى المثقفة. ويرى بأن العقل لابد أن يحكم على ماهو مقبول، وماهو ليس مقبولاً في الإيمان بالله. ويجب أن لا تكون المعتقدات الشخصية للملك أو لصاحب السيادة المحلي هي العامل الحاسم في إرساء ديانة الناس. كما أن "الذوق" و الحكم ليسا هما الميزتين للأرستقراطيين، وللعباقرة: فالعقل الفلسفي يمكن أن يمد سلطانه ونفوذه في كافة المجالات. و إن قلة من الناس هي التي تمارس الفلسفة بالفعل، لكن العقل كلي في ذاته. فالإعتقاد، والأخلاق، وأشكال الدولة والحكومة، كلها تخضع لحكم العقل اللاشخصي[٣].

ويمكن ملاحظة تأثير **ليبنتز** بصورة واضحة في معالجة **فولف** للجوهر، فعلى الرغم من إستبعاده مصطلح "المونـاد" فإنه سلم بوجود الجواهر البسيطة التي لا يمكن إدراكها، وليس لها إمتداد ولا شكل، ولا يتشابه من هذه الجواهر إثنان منها تشابها تاماً. والأشياء التي ندركها في العالم المادي هي تجمعات من هذه الجواهر، أو الذرات الميتافيزيقية، ويذهب كما هو الحال عند **ليبنتز**، على إنتماء الإمتداد الى النظام الظاهري، وإن الجسم الإنساني هو تجمع من جواهر. إلا أنه يجد في الإنسان (النفس) التي هي جوهر بسيط، ويمكن إثبات وجودها بالرجوع إلى واقعة الوعي، والوعي الذاتي، والوعي بالعالم. و يرى **فولف** بأن النفس تمتلك قوة فعالة، وهي قدرة النفس على أن تمثل العالم لنفسها. والأنشطة المختلفة

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٢٩.

(٢) مارتن هايدغر، السؤال عن الشيء – حول نظرية المبادئ الترنسندنتالية عند كانط، ترجمة د.إسماعيل مصدق، مراجعة موسى وهبة،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢، ص١٥٥.

(٣) فريدريك كوبلستون، المرجع سبق ذكره، ص١٧٩.

للنفس تكون الصورتان الاساسيتان للمعرفة والرغبة، وهي تجليات مختلفة لقوة التمثل هذه. كما وتوصف العلاقة بين الجسم والنفس عن طريق الإنسجام المقدر منذ الأزل، ولا يوجد تفاعل مباشر بين النفس والجسم، كما هي الحال عند **ليبنتز**. والله هو الذي رتب الأشياء على نحو تمثل النفس العالم وفقاً للتعديلات التي تحدث في أعضاء الحس في جسمها[١].

من هنا فإن **فولف** طور مذهباً عقلياً كاملاً لفلسفة شمل الميتافيزيقا واللاهوت الطبيعي، وكان هدفه هو تطوير نشر الفهم والفضيلة بين الناس، والسمة المميزة لتفكيره هي ثقته في قدرة العقل الإنساني على أن يبلغ اليقين في مجال الميتافيزيقا، بما في ذلك المعرفة الميتافيزيقية بالله، وإصراره على بلوغ هذا اليقين. و كان عقلياً دقيقاً مع أن المنهج المثالي بالنسبة له هو المنهج الإستنباطي، إلا أنه كان على وعي بأن المنهج الإستنباطي وحده لا يكفي لبناء نسق من الفلسفة، ولا يساعد بشكل كبير لتطوير العلوم السياسية ولا يساهم بشكل كبير لتطوير العلوم التجريبية، ولا نستطيع أن نمضي في هذه العلوم بدون التجربة والإستقراء. عليه يجب أن نقتنع بأن بعض القضايا يقينية مطلقة، لأننا لا نستطيع أن نقرر عكسها دون أن نقع في تناقض، غير أن هناك قضايا كثيرة لا يمكن أن نردها الى مبدأ عدم التناقض. بمعنى آخر قبل **فولف** تمييز **ليبنتز** بين حقائق العقل، التي لا يمكن أن نقرر عكسها دون أن نقع في تناقض، والتي هي صادقة بالضرورة، وحقائق الواقع، التي لا تكون صادقة بالضرورة، وإنما بصورة ممكنة[٢].

و لا يمكننا الغوص مباشرة في لاهوت **فولف** الطبيعي دون أن ننظر اليه داخل السياق المتشابك لمفهوم معين عن الفلسفة والأنطولوجيا. ويتجلى ذلك في التعريف الذي قدمه للفلسفة والتي يعرفها بأنها " علم الممكنات من حيث يمكن أن توجد"، على هذا الأساس يمكن وصف مذهبه بأنه مذهب في الأمكان والماهية يحظى الوجود فيها بدور ثانوي. إلا أن الفلسفة ليست مجردة عن الوجود بشكل مطلق، بل فلسفة يعنى فيها الوجود القابل للمعرفة والإرتياد المذهبي بالماهية الممكنة في المقام الأول، ولا يسمح للوجود بالدخول اليها إلا بعد ارتباطه بهذه الماهية. من هنا هناك سؤال يطرح نفسه، **ما هو السبب الذي جعل فولف يستقر على هذه النظرة الماهوية؟** وللإجابة على هذا السؤال يستوجب علينا أن نقف عند تراث **فولف** (العقل المعقد) فقد حظي مؤلفات الشكاكين والتجربيين النقدية بأهتمامه البالغ، إضافة الى اهتمامه بتراث المذهب العقلي. إذ أن حجج الشكاك أقنعته لايمكن الدفاع عن معرفتنا بالعالم الخارجي الموجود، سواء عن طريق الإستنباط العقلي، أو من خلال الإستدلال التجريبي، مما أوصله الى عدم اقامة بناءه الفلسفي على الدعوى الخاصة بواقع الكون المادي. مع ذلك فقد اقنعه فلاسفة الأنكليز بخطورة تجاهل الجانب الوجودي بشكل مطلق[٣].

لذلك فإنه يحول بينه وبين رغبته في تأسيس الفلسفة على أساس وجودي من التجربة ما يصطدم به من النقد الشكاك، عليه فانه مرغم على أن يضع اليقين الفلسفي في الماهيات الممكنة والأسباب

---

(١) المرجع نفسه، ص ص١٦٠-١٦٤.

(٢) فريدريك كوبلستون، المرجع سبق ذكره، ص ص١٥٩-١٦٠.

(٣) جيمس كولينز، الله موجود في الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٧، ص١٩٥.

الكافية. مع ذلك فإنه لا يريد مسايرة **ليبنتز** في التغلب على التفرقة بين حقائق الواقع وحقائق الماهية مستنداً على مبدأ السبب الكافي، إذ أن **ليبنتز** يعطي الأولوية لهذا المبدأ مادام يعبر عن القانون الدينامي الخاص بالماهيات شبه المستقلة التي ينبغي أن يعتمدها الإله من حيث أنها تتحكم في خلقه للعالم الموجود. أما **فولف** فيرى أن الماهيات مؤسسة في العقل الالهي دون أي التباس، وأن مبدأ السبب الكافي يستطيع أن يعطي الروابط الجوهرية أو أسباب الوقائع، إلا أنه لا يستطيع أن يقدم أي يقين استنباطي يتعلق بالوقائع الفعلية نفسها. عليه ينبغي أن يبقى مبدأ السبب الكافي تابعاً لمبدأ التناقض، ذلك المبدأ الذي يقدم لنا يقيناً لا شك فيه عن الأنساق الداخلية وامكانية السمات الجوهرية من حيث هي كذلك. وعلى ضوء ذلك يعرف **فولف** "الأنطولوجيا" بأنها علم الوجود، أي علم ما يمكن أن يوجد أو مالا يرفضه الوجود. وهو في أساسه علم الماهية. اذا الأنطولوجيا علم محدد لأنه يقصر نفسه على دراسة الوجود بوصفه ممكناً أو مركباً تركيباً ماهوياً للرفض. أما بوصفه الفعل المعروف بالمباشر لشيء ما، فإنه لا يدخل في نطاق الأنطولوجيا التي تظل مجالا لاوجودياً[١].

كما نقد **فولف** نظرية العجز الأخلاقي للإنسان في مجال الميتافيزيقا، وهذا يعني إذاً تُرك الإنسان وشأنه فإنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى الوقوع في الخطيئة، وإن نظريته الأخلاقية تقوم على فكرة الكمال، من حيث يُعرف الخير بأنه ما يجعلنا ويجعل حالتنا، أكثر كمالاً، بينما يُعرف الشر بأنه ما يجعلنا وحالتنا، أكثر نقصاً. كما أنه يؤكد على الحرية من حيث أنها شرط لحياة الأخلاق، ويؤكد على أن الإنسان حر، من حيث أن إختيارات النفس تصدر من تلقائيتها الخاصة، وبالتالي تكون حرة[٢].

ثم جاء **لسينغ** ليكمل ما بدأه **فولف** و **ليبنتز** وتبنى **ليسنغ** المثل التنويرية، ويبشر بالحركة الرومانسية، وحاول التمييز بين القوانين التي تحكم الأدب والفنون التصويرية، و إنتقد علم الجمال (الإستاطيقا) الكلاسيكية، مدافعاً عن الفن التعبيري الخالي من القيود الشكلانية[٣]. كما و بشر **ليسنغ** في كتابه (تربية الجنس البشري) ١٧٨٠ بمستقبل قادم متحرر من القسر، فيه يتيح الدين كلية مكانة للعقل المستنير. كما يدعو في مسرحيته الفلسفية (ناثان الحكيم)، الذي لم يكن يقصد من تقديم هذه المسرحية إلا التدليل على آراءه الفلسفية وتصويرها وتمكن من إيصال رسالته الفلسفية إلى أذهان الناس وقلوبهم[٤]، الى فكرة التسامح الديني، كما يدعو الى حق التفكير الحر مؤكداً على المساواة بين الأمم و داعياً الى الصداقة بينها[٥].

و مع أن **ليسنغ** لم يكن فيلسوفاً مهنياً ونسقياً بالمعنى الذي كان به **فولف** و **ليبنتز**، إلا أنه كان شاعراً نابغاً يستحق أن يذكر بين شعراء ألمانيا الكلاسيكيين[٦]. إضافة الى أنه بالغ في إهتمام بالمسائل

---

(١) جيمس كولينز، المرجع سبق ذكره، ص ص١٩١-١٩٢.

(٢) فريدريك كوبلستون، المرجع سبق ذكره، ص ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) دليل أكسفورد للفلسفة، تحرير تد هوندرتش، ترجمة نجيب الحصادي، الجزء الثاني، المكتب الوطني للبحث والتطوير، مكان الطبع بلا، ٢٠٠٣، ص ٨٥١.

(٤) بيتر باخمان، غوتهولد أفرائيم ليسينغ وحكاية الخواتم الثلاثة، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٤، ص١٠.

(٥) لجنة من العلماء و الأكاديميين السوفيت،الموسوعة الفلسفية، المرجع سبق ذكره، ص٤٢٠.

(٦) بيتر باخمان، المرجع سبق ذكره، ص١١.

الفلسفية، ليشتهر بإشتراكه و نشاطه وتطوير حركة التنوير، خصوصاً في ألمانيا، وتركت أفكاره تأثيراً ملحوظاً، إضافة إلى أن كتاباته كوَّنت تعبيراً أدبياً موحداً عن روح عصر التنوير، مما عكست أفكار الآخرين إلى حد كبير. فعلى سبيل المثال عبَّر كتابه "ناثان الحكيم" بصورة درامية عن مثال التسامح الديني الذي يمكن إعتباه كأحد خاصيات عصر التنوير. كما طور الى جانب ذلك الأفكار التي أخذها من الآخرين[١].

إن أهمية **ليسنغ** ودوره في التنوير لا تقتصر على أنه أول مؤسس للنقد المسرحي، و أول ناقد أدبي، بل مع ذلك دخل في معارك حامية مع بعض اللاهوتيين المسيحيين، وإذا كان قد رفض المهنة التي إشتهرت بها عائلته أباً عن جد، ألا وهي الكهانة ورجل الدين، فذلك لأنه فقد منذ البداية إيمانه باليقين التقليدي المسيحي، وكان يبحث عن إيمان قائم على العقل وليس النقل. إذ كان يرمي إلى تطبيق المنهج التأريخي النقدي على النصوص المسيحية المقدسة، فمن جهة إعتقد بأن الله يقع خارج كل الأنظمة اللاهوتية مما كانت، ولا يمكن (سجن) الله داخل نظام عقائدي لاهوتي، مسيحياً كان أم غيره، وإن الله أكبر من أي عقيدة خصوصية، و من جهة أخرى، يرى بأن أعمال الإنسان هي الأساسية وليس معتقداته أو حتى صلواته وعباداته فإذ كان يفعل الخير ويحب الآخرين وينفع المصلحة العامة فإنه مؤمن جيد، حتى ولو لم يصلي قط. وإذا كان عكس ذلك، فلن ينفعه الصلاة والعبادة مهما بالغ فيها. فالدين كما يراه **ليسنغ** المعاملة أو الممارسة الفعلية، وليس الاقوال أو التمتمات أو الهمهمات[٢].

من هنا فإنه عُرف مناضلاً بارزاً ضد القوى الرجعية و الايديولوجية الإقطاعية والتعصب الديني، و ضاق من جو بروسيا الفكري آنذاك. إضافة الى أنه ناضل في سبيل فن مسرحي و أدبي واقعي وتقدمي. إذ يكون فناً لا يقلد صور الرسم الساكنة ولا تمثل الكلاسيكيين، وإنما يعكس، بوسائل الشعر الخاصة، دينامية العصر وصراع الناس[٣]. ومن جانب آخر وقف **ليسنغ** ضد اللاهوت الرسمي المحافظ، فذاعت في ألمانيا كلها أخبار الصراع الديني بينه وبين كبار رجال الدين. وهو يعد من رواد، بعد **سبينوزا Baruch Spinoza**(١٦٣٢-١٦٧٧)، الذين اعتمدوا التناول التأريخي للكتب والنصوص المقدسة. إذ أنه كان يرفض كافة التصورات الدينية التقليدية عن الإله، وكونه موجوداً خارج العالم؛ فهو لا يسلم إلا بإله، يكون بمثابة "روح العالم"، ويرى أنه في نهاية المطاف تكمن في قيمته الأخلاقية المحضة[٤]. إذ ان الانسان بحسب **ليسنغ**، يتخيل فكره الحق والخير كمثل أعلى، وهو يطمح بشكل طبيعي الى تحقيقهما، وهو يريد باستمرار ان يحسن مركزه و يكون افضل من السابق، كما يحاول ان يتوصل الى أعلى مستوى أخلاقي ممكن، أنه يبحث باستمرار ودون توقف، عن الحقيقة والكمال، وهذا البحث يشكل معنى وجوده وحقيقته، ثم يردف قائلا: ان ممارسة المسيحية الحقيقية تتطابق مع البحث عن الحقيقة الاخلاقية، **ولكن نلاحظ أن هناك تناقضاً كبيراً بين مبادئ هذا الدين وسلوك اغلبية المؤمنين به، لماذا؟**

---

(١) فريدريك كوبلستون، تأريخ الفلسفة، الالمرجع سبق ذكره، ص١٨٦.

(٢) هاشم صالح، ليسنغ والتنوير، منشور على موقع الحوار المتمدن على الأنترنت، على الرابط الألكتروني التالي: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=592 ، تأريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/٢٠.

(٣) مجموعة من أساتذة السوفيت، المرجع سبق ذكره، ص٢٠٦.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٠٧.

لماذا نجد ان الكتب اللاهوتية المسيحية تصدمنا الآن بقساوتها، بفجاجة اخلاقياتها، بيقينياتها المتناقضة تماما مع كتب الطبيعة والعلم الحديث؟ وكيف يمكن التوفيق بين مضمون هذا «الوحي» الذي تفرضه علينا المسيحية، وبين مبادئ الضمير الاخلاقي؟ لا يمكن الخروج من هذا المأزق إلا اذا ضحينا بأحد جانبي الصراع، فإما ان نمنع العقل من التدخل في الشؤون الدينية والعقائد اللاهوتية، ونحظر عليه نقد النصوص المقدسة او دراستها بشكل عقلاني وعلمي، وإما ان نتخلى بكل بساطة، عن هذه الكتب المسيحية الصفراء التي علاها الغبار، والتي تعد الغذاء اليومي للمسيحي التقليدي: اي لملايين البشر في عهد **ليسنغ**، وعندئذ نلتحق **بفولتير** وتصوره الطبيعي عن الدين والاخلاق، فالدين الحقيقي هو الدين الطبيعي، اي العقلاني الذي ينطبق على جميع البشر، وليس اللاهوت المسيحي الموروث ابا عن جد والذي يسيطر علينا بحكم البطالة والعطالة وتراكم القرون[١].

من هنا فإنه تحت تأثير كل من **ليبنز** و **فولف** و صعود "حركة التقوية" في المانيا، إضافة الى التطورات التجريبية في انكلترا و فرنسا، وضع **لسينغ** تأويلاً فلسفياً للتأريخ. إذ آمن بتربية إلهية للجنس البشري، التي بدأت بين الهمج، ثم تطورت بعد ذلك في الأديان الكبرى في الشرق، حتى انتقلت الى المسيحية. وليس هناك دين من الأديان الوضعية يمتلك إحتكار الحقيقة ويجب دراسة هذه الأديان وتقديرها من الناحية الجمالية والعقلية[٢].

ويؤكد على أن التربية بالنسبة للموجود البشري الفرد أشبه بالوحي بالنسبة للجنس البشري بأسره، أي أن التربية هي بمثابة وحي مصطنع للفرد، بينما الوحي هي تربية متواصلة للجنس البشري، إذ يقول **ليسنغ** " الوحي بالنسبة للجنس البشري قاطبة بمثابة التربية بالنسبة للفرد الواحد"[٣]. وهذا يعني أن الوحي هي التربية الإلهية للجنس البشري في التأريخ، وهي عملية مستمرة ومتواصلة وتستمر في المستقبل[٤]. **ولكن ماذا يقصد ليسنغ بالتربية؟** عرف القرن الثامن عشر بإهتمامه بالتربية، والتي هي الطريق لإعادة بناء الفرد. إلا أن التربية لا تتم للعقل وحده كما حاول المناهج العقلية والإستنباطية الديكارتية و التجريبية الإستقرائية عند **بيكون** والمدرسة الأنجلوسكسونية بشكل أن يصوروها، بل تجاوزت التربية إلى الإنسان ذاته من أجل إقامة الإنسان العاقل أو الفرد المستنير أو المواطن الصالح. ولم يعد العقل فقط هو هدف التربية، بل أصبح الإنسان عقلاً و إرادة كله مناط التربية. أي الإنسان من حيث هو وجود إنساني حي في علاقته مع الله و مع العالم على حد سواء[٥].

وقد أدرك **ليسنغ** أنه لم يتحقق التفاهم والوفاق بين الاديان السماوية الثلاث منذ أن عرف التأريخ هذه الاديان إلا نادراً، بل لقد تبين أن تعصب أهل كل ملة لدينهم كان يحرضهم على ارتكاب الجرائم التي امتلئت صفحات التأريخ بقصصها. ويرى أن السبب في ذلك التعصب ليس إلا الإبتعاد عن

---

(١) هاشم صالح، المرجع سبق ذكره.

(٢) وليم كلي رايت، الالمرجع سبق ذكره، ص٢٤٣.

(٣) ليسنغ، تربية الجنس البشري، ترجمة د.حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦، ص١٢١.

(٤) فريدريك كوبلستون، المرجع سبق ذكره، ص١٨٨.

(٥) ليسنغ، المرجع سبق ذكره، ص٧٨.

إستخدام قوى العقل التي منحها الله أيانا لنستخدمها في خدمة البشرية. وهذا النوع من إستخدام القوى العقلية هو ما يقال عنه "تنوير العقول"[١]. وهذا يعني أن ليسنغ كا يرمي أن إستخدم القوى العقلية وتسخيرها في خدمة البشرية يؤدي في النهاية إلى نبذ الإختلافات الدينية و نشر التسامح الديني و والإبتعاد عن التعصب والصراع.

وهذ لا يعني بالنسبة **لـلسنغ** أن هناك أسباباً ذا أفضلية لقبول موقف ديني ما أو فلسفي بدلاً من موقف آخر، بل المسألة بالنسبة له هي درجات نسبية من الحقيقة ومن اقتراب لا ينتهي من حقيقة مطلقة بدلاً من الإقتراب من حقيقة مطلقة تمتلك صحة نهائية وكلية يمكن بلوغها في أي لحظة معينة. و يُعبر عن وجهة النظر هذه بملاحظته الشهيرة التي جاء فيها أنه إذا قدم الله اليه الحقيقة الكاملة بيده اليمنى، والبحث الذي لا ينتهي عن الحقيقة بيده اليسرى، ففي تلك الحالة فإنه سيختار الثانية، حتى وإن كان ذلك يعنى أنه يقع في الخطأ بإستمرار. لإن إمتلاك الحقيقة الخالصة والنهائية يكون بالنسبة لله فقط[٢].

بناءاً على ما سبق يمكن القول بأن التطورات التي حدثت في البنى الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والفكرية في أوروبا أفرزت إتجاهات ونظريات فكرية جديدة كانت الأساس لظهور فلسفة أوروبية حديثة ومعاصرة. ومن أهم تلك التطورات هي نشوء حركة النهضة الإيطالية، و بروز النزعة الإنسانية التي تمثلت بنهضة فكرية على كافة المستويات الفلسفية والعلمية، و ظهور حركة الإصلاح الديني، إضافة إلى تطور العلوم نحو إعادة الدراسات التجربية الأمر الذي أدى الى نضوج فكرة النقد. إذ ظهرت الفلسفة التجريبية_التي بدأت على يد **بيكون**_ كرد فعل ضد التيار العقلي، و إعادة النظر بجميع القيم السياسية والدينية، ثم يأتي **ديكارت** ليقول بأنه لا يؤمن بشيء حتى يفحص السبب الذي يجعله يؤمن به، وطور منهجاً يعرف بالمنهج الشك الديكارتي. لتظهر البدايات الأولى للإتجاه النقدي في الفكر السياسي الألماني على يد **ليبنتز** و **فولف** و **لسينغ**. إذ إتسمت الفلسفة النقدية عند **ليبنتز** بطابع تحليلي وذلك من خلال تحليله لفكرة الجوهر أو "المونادة" من خلالها قدم نظريته في المعرفة. أما **فولف** فقد أستبعد مصطلح المونات و سلم بوجود جواهر بسيطة لا يمكن إدراكها، وليس لها إمتداد ولا شكل، ولا يتشابه من هذه الجواهر إثنان منها تشابها تاماً. ويتكون العالم المادي من تجمعات من هذه الجواهر. وفيما يتعلق **بليسنغ** الذي بشر بمستقبل متحرر من القسر، ودعى الى فكرة التسامح الديني، والمساواة بين الأمم و الصداقة بينها. كما و دخل في معارك حامية مع بعض رجال الدين المسيحيين، ويرى بأنه لا يمكن (سجن) الله داخل نظام عقائدي لاهوتي، مسيحياً كان أم غيره، وإن الله أكبر من أي عقيدة خصوصية، فالدين كما يراه **ليسنغ** المعاملة أو الممارسة الفعلية، وليس الاقوال.

ومن مجمل ما سبق يمكننا القول بأن عصر التنوير ظهر في القرن الثامن عشر في أوروبا إذ رافقته حركة نقدية شملت كل المجالات الفكرية واللاهوتية والأدبية والسياسية والأقتصادية، التي كانت دافعاً لدفع عجلة تقدم المجتمع وإزدهاره. إذ أن ممارسة النقد هو محاولة لفهم الإنسان والعالم ومعرفة

---

(١) بيتر باخمان، المرجع سبق ذكره، ص٢٨.

(٢) فريدريك كوبلستون، المرجع سبق ذكره، ص١٨٧.

قوانين الطبيعة، والتي ترمي الى تحطيم المؤسسات السياسية والإجتماعية التقليدية. عليه فإنه يمكن وصف التنوير بأنه حركة ثقافية و فكرية و أدبية شاملة، وأنه انبعاث الروح النقدية التحررية التي ساعدت على تحرير العقل من الجمود و القوالب الآيديولوجية الجاهزة و الأوهام، وفتح آفاق جديدة في المعرفة، الأمر الذي أدى الى تدفق تيارات فلسفية وأفكار اجتماعية نقدية وحركات سياسية انبثقت عن التحولات البنيوية التي صاحبت التغيرات في المجالات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، ورسخت قيم الطبقة الوسطى فكراً وسلوكاً وسياسة. أما المهمة الأساسية لعصر الأنوار فهي إعلاء سلطة العقل وإبراز دوره، إضافة إلى النقدية التي تكمن مهمتها في تسليط الضوء على الأوضاع الفاسدة والقضاء عليها من خلال تحرير العقل من أية قيود و محددات تشكل التفكير الحر. إضافة الى ذلك فإن الهدف الرئيسي للتنوير هو إنشاء فلسفة جماهيرية عامة بديلاً للفلسفة الأرستقراطية المحافظة التي كانت سائدة آنذاك، إضافة الى تهيئة الاذهان للتكيف مع روح العصر، وكان محورها فكرة التقدم الإنساني انطلاقاً من عد العقل المصدر الوحيد للمعرفة في مواجهة التفكير الميتافيزيقي.

أما في ألمانيا على وجه الخصوص فقد أنبثق الفكر التنويري بعد انتقال التنوير اليه من انكلترا و فرنسا، و التأثيرات التي تركها حرب الثلاثين عام وتبعياته عليها. وقد مر التنوير الألماني بعدة مراحل، مروراً بالإحالة الى الثقافات الحضرية وتركيزها على الذكاء السياسي بواسطة اختبار الواقع حسياً لمعرفة الحقيقة، ثم الدعوة الى التفكير الذاتي، ليتحول التنوير في ألمانيا الى حركة وطنية ساعد على إنتشار الوعي الذاتي، وفكرة الفرد المفكر ذاتياً. كل ذلك ساهمت في بروز مفكرين وفلاسفة متنورون نقديين مثل **ليبنتز** و **فولف** و **ليسنغ** و **كانط** و **فيختة** و **هيغل** و آخرون. الذين ناضلوا في سبيل إنتصار العقل، التي هي أداة النقد الجذري لكل الافكار التي تمس الحياة، مما ساهم في إنقاذ ألمانيا من براثن التعصب والتطرف بعقلنة تراثهم و معتقداتهم.

الخاتمة المتضمنة للإستنتاجات

تتمثل الفلسفة السياسية بمعناها العام في البحث عن الحكمة والفهم بإستخدام أساليب التفكير النقدي. عليه فإن النقد قديم قدم الفكر الانساني، والحكم على التفكير القديم بالسذاجة ماهو الا نقد له، و ارتبط النقد بعصر التنوير ومبادئه في التحرر والتقدم والعقلانية. أما المحرك الأساسي للنقد فهو الشك في الحقيقة الكلية أو الجزئية، إذ أضحى النقد شرطاً أولياً و مبدئياً لتطور الفكر وتقدم المجتمع وإزدهار الحضارة الإنسانية. وقد تم تنصيب العقل في عصر الأنوار بأعتباره السلطة العليا. وساعد التنوير على تطوير مذاهب فكرية و فلسفية جديدة وظهور التيار العقلي والتجريبي كمنهج علمي، والتي كانت البداية لظهور الإتجاهات النقدية. وأصبح النقد صيرورة معرفية مرتبطة بالنشاط المتميز للعقل ليتحول الى منهج نقدي قائم على الجدل العقلي ليصبح محوراً للفكر الفلسفي.

أما الهدف الرئيسي للتنوير هو تكوين فلسفة جماهيرية عامة بديلاً للفلسفة الأرستقراطية المحافظة التي كانت سائدة آنذاك، وتهيئة الاذهان للتكيف مع روح العصر وذلك بتغيير الأنظمة التقليدية، وكان محورها فكرة التقدم الإنساني انطلاقاً من احترام العقل بوصفه المصدر الوحيد للمعرفة في مواجهة التفكير الميتافيزيقي. واصبح التنوير الذي يعتمد على مقولة العقل، أداة النقد الجذري لكل الافكار التي تمس الحياة، وإن ممارسة النقد هي محاولة لفهم الإنسان والعالم ومعرفة قوانين الطبيعة. هذه العقلانية النقدية كانت تهدف الى تحطيم المؤسسات السياسية والإجتماعية التقليدية. من كل ذلك يمكننا أن نستنتج:

١. كانت بدايات النقد والنظريات النقدية في أنكلترا وفرنسا، ثم انتقلت الى ألمانيا. لأن النقد يرتبط بعصر التنوير وكان تقدم المانيا نحو التنوير أبطأ مما كانت عليه الدول الأوروبية المتقدمة(مثل انكلترا وفرنسا) نحو التنوير. مع ذلك حظي الاتجاه النقدي الألماني بخصوصيته و دوره المحوري في بناء الفلسفة النقدية.

٢. و التنوير هو إتجاه ثقافي انتشر في أوروبا آبان القرن الثامن عشر تحت تأثير الطبقة المثقفة، وهو نتاج العقل، وحاول فلاسفة التنوير إعادة الإهتمام بقيمة الفلسفة وذلك بجعل العقل المصدر الوحيد للمعرفة، وكانت العلاقة بين العلم والإيمان المسألة الأساسية التي شغلت فكر المنورون. أما في ألمانيا، فقد كان البلد يسير في القرن الثامن عشر في طريق التطور الرأسمالي، بيد أن هذا التطور كان أبطأ ما كانت عليه البلدان الأوروبية الأخرى، وقد إنبثق الفكر العقلاني والتنويري الألماني على أثر حرب الثلاثين عام، ونوازلها التي حلت بألمانيا، الأمر الذي دفع بالفلاسفة الألمان الى كتابة فلسفتهم السياسية من أجل بناء الدولة والمجتمع على أساس عقلي. وسعى المنورون الألمان من أجل حل النزاع بين العقل والإيمان لصالح العقل.

٣. كما ناضل المنورون الألمان من أجل انتصار العقل، ودافعوا عن مشروعية النقد العلمي. وتنامت حركة التنوير في ألمانيا داخل المجتمع، بدعوتها الى المساواة الإجتماعية للأفراد أمام العقل. وقد مر التنوير الألماني بعدة مراحل، مروراً بالإحالة الى الثقافات الحضرية وتركيزها على الذكاء السياسي بواسطة اختبار الواقع حسياً لمعرفة الحقيقة، ثم الدعوة الى التفكير الذاتي، ليتحول التنوير في ألمانيا الى حركة وطنية ساعد على إنتشار الوعي الذاتي، وفكرة الفرد المفكر ذاتياً.

٤. ومع انتقال حركة التنوير الى ألمانيا، كانت البداية مع **ليبنتز** الذي يعد من مشاهير رجال الفلسفة في عصره . و أتسمت فلسفته النقدية بطابع تحليلي يسعى فيه الى تحليل كل فكرة من الأفكار ليصل الى ما تحتويه من علاقات وتصورات ليستخرج ما يكمن فيها من مبادئ وقوانين.

٥. أمتد تأثير ليبنتز وفلسفته الى قرون لاحقة، وكان فلسفته مصدراً مهماً سقا منه الكثيرون، من أبرزهم فولف و ليسنغ. فكانت فلسفة **فولف** وأتباعه على درجة عالية من التنوير الألماني، و شكلت برنامجاً لوضع كل مجالات نشاط العقل الإنساني أمام محكمة العقل. وقد طور **فولف** مذهباً عقلياً كاملاً لفلسفة شمل الميتافيزيقا واللاهوت الطبيعي، وكان هدفه هو تطوير نشر الفهم والفضيلة بين الناس، والسمة المميزة لتفكيره هي ثقته في قدرة العقل الإنساني على أن يبلغ اليقين في مجال الميتافيزيقا. ثم جاء ليسنغ ليكمل ما بدأه **فولف** و **ليبنتز** وتبنى **ليسنغ** المثل التنويرية، ويبشر بالحركة الرومانسية. و إنه عرف مناضلاً بارزاً ضد القوى الرجعية و الايديولوجية الإقطاعية والتعصب الديني.

٦. ومرت التنوير الألماني بمراحل عدة، إذ تنامت حركة التنوير في مرحلته الأولى تحت تأثير كريستيان توماسيوس و فولف وغوتشاد، وبرزت في هذه المرحلة الدعوة الى المساواة الإجتماعية للأفراد أمام العقل. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة أخرى في التنوير الألماني يسمى بالتنوير الأعلى، إذ ظهرت فيها مطالب جديدة يتجلى في التفكير الذاتي أكثر مما يتجلى في التفكير الصحيح. وبرزت أسماء مثل ليسنغ و هيرمان سمويل و يوهان هينريش وغيرهم. بعد ذلك تأتي مرحلة التنوير المتأخر، وأتسمت هذه المرحلة بتزايد الكتب و الإتصال بالعلم وشغف الجمهور للقراءة في ألمانيا، لتتحول التنوير الى حركة وطنية، لتساهم في إنتشار وعي ذاتي واضح. وبرزت أسماء لامعة في سماء الفكر الألماني لتصل الى كانط أبرز الفلاسفة النقديين لتنتهي بهيغل.

قائمة المصادر

أولاً/ المعاجم و الموسوعات:

١.أندرية لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، المجلد الاول،٢٠٠١.

٢.دليل أكسفورد للفلسفة، تحرير تد هوندرتش، ترجمة نجيب الحصادي، الجزء الثاني، المكتب الوطني للبحث والتطوير، مكان الطبع بلا، ٢٠٠٣.

٣.عبدالمنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠.

٤.عبدالمنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج١، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩.

٥.عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، الجزء الثالث والرابع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بلا سنة النشر.

٦.لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيت، الموسوعة الفلسفية، بإشراف م.روزنتال و ب.يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، بلا سنة النشر.

٧.مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، تحرير د.ابراهيم مدكور،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣.

٨.مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة،٢٠٠٧.

٩.الموسوعة الفلسفية، بإشراف روزنتال و ب. يودين، ترجمة سمير كرم،ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.

ثانياً/ الكتب العربية والمعربة:

١٠. أبو نورحمدي أبونور حسن، يورغن هابرماس(الأخلاق والتواصل)، التنوير للنشر، بيروت، ٢٠١٢.

١١. د.إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

١٢. إرنست كاسيرر، فلسفة التنوير، ترجمة إبراهيم أبو حشهش، المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسات، قطر، ٢٠١٨، مقدمة الكتاب.

١٣. أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١.

١٤. إزايا برلين، جذور الرومانتيكية، ترجمة سعود السويدا، جداول للنشر، بيروت، ٢٠١٢.

١٥. برتراند رسل، تأريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث(الفلسفة الحديثة)، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١.

١٦. بيتر باخمان، غوتهولد أفرائيم ليسينغ وحكاية الخواتم الثلاثة، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٤.

١٧. توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، دار اويا، بنغازي،٢٠٠٤.

١٨. ج.ف.ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣.

١٩. جماعة من أساتذة سوفيت، موجز تأريخ الفلسفة، ترجمة توفيق سلوم، الفارابي، بغداد،

١٩٨٩.
٢٠. جوزايا رويس، روح الفلسفة الحديثة، ترجمة أحمد الأنصاري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.
٢١. جيمس كولينز، الله موجود في الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤد كامل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.
٢٢. د.عبدالرضا حسين الطعان، تأريخ الفكر السياسي الحديث، دار الحكمة، بغداد،١٩٩٢.
٢٣. رائد عبيس مطلب، بين الحداثة ومابعد الحداثة-يوغن هابرماس-دراسة في العقلانية النقدية التواصلية، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥.
٢٤. رينية ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة وتقديم عثمان أمين، تصدير مصطفى لبيب،المركز القومي للترجمة، القاهرة،٢٠٠٩.
٢٥. رينية ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط٣، ١٩٨٥.
٢٦. د. زكريا إبراهيم، كانط أو الفلسفة النقدية، مكتبة مصر،القاهرة، ١٩٦٤.
٢٧. د. زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، ط٣، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٧.
٢٨. د.زكريا إبراهيم، هيغل أو المثالية المطلقة، ج١، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧١.
٢٩. عبدالله محمد إسحق، محطات حركة التنويرية الأوروبية،الجزء الأول، دار إبن رشد،القاهرة، ٢٠١٧.
٣٠. علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر الى هابرماس(مدخل الى نظرية النقد المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، بلا سنة نشر.
٣١. غُنار سكيربك و نلز غيلجي، تأريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة الى القرن العشرين، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظمات العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢.
٣٢. فتحية بو رحلة، عصر الأنوار في فرنسا قضايا وأهدافه، في مجموعة باحثين: سؤال الحداثة والتنوير في الفكر الغربي والعربي، منشورات دار الأختلاف، الجزائر، ٢٠١٣.
٣٣. فريدريك كوبلستون، تأريخ الفلسفة(المجلد السادس)، الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط، ترجمة حبيب الشاروني و محمود سيد أحمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠.
٣٤. فؤاد زكريا، آفاق الفلسفة، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧.
٣٥. ليسنغ، تربية الجنس البشري، ترجمة د. حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦.
٣٦. مارتن هايدغر، السؤال عن الشيء – حول نظرية المبادئ الترنسندنتالية عند كانط، ترجمة د.إسماعيل مصدق،مراجعة موسى وهبة،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢.
٣٧. د.محمد عبدالله الشرقاوي، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة،ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠.
٣٨. محمد سليمان حسن، دراسات في الفلسفة الأوربية، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٨.

٣٩. محمد نورالدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة(انموذج هابرماس)، افريقيا الشرق للنشر، المغرب، ١٩٩٨.
٤٠. مجموعة مؤلفين، المثالية الألمانية، تحرير هنس زند كولر، ترجمة ابو يعرب المرزوقي وآخرون، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ٢٠١٢.
٤١. نادية بو نفقة، جدلية التنوير وتطويره في ألمانيا، في مجموعة من الباحثين (سؤال الحداثة والتنوير في الفكر الغربي والعربي)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ٢٠١٣.
٤٢. نايجل واربرتون، مختصر تأريخ الفلسفة، ترجمة محمد مفضل، تقديم علي حسين، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد،٢٠١٩.
٤٣. هنتر ميد، الفلسفة(أنواعها ومشكلاتها)، ترجمة فؤاد زكريا،مكتبة مصر، القاهرة،١٩٦٩.
٤٤. وليم كيلي رايت، تأريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، التنوير للنشر، بيروت، ٢٠١٠.
٤٥. يوسف كرم، تأريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٦.

ثالثاً/ الدوريات و البحوث:

١. د.احسان عبدالهادي النائب، مفهوم المجتمع المدني عند كانط وهيغل، المجلة السياسية والدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة المستنصرية، العددان(٣٣- ٣٤)، بغداد،٢٠١٦-٢٠١٧.
٢. د.حميد فاضل حسن، التأسيسات الفكرية للطبقة الوسطى (العراق أنموذجاً)، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ع(٥٠)، ٢٠١٥.

رابعاً/ المصادر الأجنبية:

3. A.Pablo Iannone, Dictionary Of World Philosophy, Routledge, London, 2001.

خامساً/ المصادر الألكترونية:

١. محمد الشيخ، ما معنى التنوير، الحوار اليوم، متاح على الرابط الألكتروني التالي:http://alhiwartoday.net/node/9841، تأريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٦/١٠.
٢. هاشم صالح، ليسنغ والتنوير، منشور على موقع الحوار المتمدن على الأنترنت، على الرابط الألكتروني التالي: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=592،تأريخ الزيارة ٢٠٢٠/١٢/٢٠.